تقام الطالب بالتصويب الذي رأته
لجنة المناقشة

المشرف

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة



الشيخ عثمان بن فودي الفلاني وعقيدته على ضوء الكتاب والسنة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

مصباح الدين جنيد ١٠٠٢٤٨٠

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

سليمان دنيا

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م



بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى اله وصحبه ، ومن اتبعه ودعا بدعوته الى يوم الدين .

وبعد :

فان للدعوة الاسلامية الفضل الاول في حضارة المجتمعات الانسانية التي ظهرت بعد بزوغ نورها ، وانها لا تزال تؤدي دورها المجيد في اعلاء كلمة الله وسعادة البشرية لو اهتدى الناس بهديها . ومنذ أن كرم الله هذه الامة فأكمل لها الدين ، واتم عليها النعمة تتوالى أصوات الدعاة آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر عملا بقوله تعالى : " ولتكن منكم امه يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ... " (١) .

وكلما أصاب الامة الوهن ، وتمكنت فيها موجبات الانحراف ، وحاد الناس عن جادة السبيل ، يهيء الله سبحانه وتعالى لدينه رجالا يدعون الى الله على بصيرة ويقين ، ويدافعون عن حمى الدين حتى يفتح الله عليهم ، وينقذ بدعوتهم البلاد والعباد ، فمنهم من نالت جهوده وحركته حظا كبيرا من الاهتمام لدى الباحثين ، فانتشرت بذلك اخبارهم في الآفاق ، ومنهم من أخذ من ذلك بقدر ، فلم يعرف عنهم الا القليل ، ومنهم من ظل في ذمة التاريخ فلم يعرف عنهم شيء على الاطلاق .

---

(١) سورة آل عمران اية (١٠٤) ..

ولما كان نظام قسم الدراسات العليا بجامعة ام القرى يفرض على كل طالب في مرحلة التخصص ان يتقدم برسالة علمية ينال بها درجة الماجستير ، عقدت العزم بعد الاستعانة بالله سبحانه وتعالى على الكتابة عن احد قادة الاصلاح الديني في غرب افريقيا ـ الا وهو الشيخ عثمان بن فودى الفلاني .

لقد قصدت بهذا البحث دراسة شخصية الشيخ عثمان وارائه في المسائل الاعتقادية ، والمقارنة بين آرائه ومن سبقه من العلماء ، وبيان موافقته للسلف الصالح فيما ذهب اليه من الاراء .

وقد دفعني الى اختيار هذا الموضوع عوامل كثيره منها :

١ ـ ان الشيخ عثمان مجاهد اسلامي ، ذو شخصية اسلامية بارزة في غرب افريقيا ، وقد طلع على الناس بحركته الاصلاحية في عصر انتشرت فيه البدع والخرافات ، فاحيا ما اندرس من السنة ، واسس دولة اسلامية ظلت قائمة حتى مطلع القرن الحالي .

٢ ـ اختلاف الناس في تقويم حركته ، اذ يرى بعضهم انه استغل الدين لتمكين أقربائه من السلطة ، ويرى البعض انه داعية اسلامي ، جاهد في سبيل اعلاء كلمة الله والعودة الى الكتاب والسنة .

٣ ـ لقد بذل المستشرقون ومن تتلمذ عليهم جهودا مكثفة في دراسة احوال الاسلام في افريقيا مع التركيز الشديد على حركات البعث والتجديد فيها ، وقدموا في هذا المجال بحوثا متنوعة ، الا ان هذه البحوث تخدم في المقام الاول اهدافهم الاستعمارية . والدراسات العربية التى ظهرت عن افريقيا اعتمدت اعتمادا يكاد أن يكون كليا على تلك المصادر الاجنبية ، ولم تستق مادتها من المراجع الاصلية ..

٤ ـ دراسة عقيدة الشيخ عثمان من خلال مؤلفاته العديدة ، التي لم يزل معظمها مخطوطا ، ولم أجد من الباحثين من اعطى هذا الجانب المهم حقـــه من الدراسة المنهجية القائمة على العرض والتحليل والمناقشة .

لهذه الاسباب أردت أن أسهم في دراسة هذه الشخصية ، ولقد اعتمـدت في هذه الدراسة على المراجع الاصلية من مؤلفات الشيخ عثمان ، كما استعنت ببعض المراجع العربية والاجنبية مع الاحتياط لعدم الوقوع في الاخطاء التي وقع فيهـــا الكثيرون ..

اما المنهج الذي سرت عليه في هذه الرسالة ، فهو عرض وبيان نص كـلام ابن فودى في كل قضية من القضايا ، ثم اذكر اراء العلماء في نفس القضية لأوضـح مبلغ تأثره بهم ، وما عسى أن يكون له من زيادات ، ثم أقارن ما انتهى اليه بمذهـب السلف الصالح رضوان الله عليهم مع الاسهاب في النقل عن الائمة الاجلاء لتأييـد المذهب الحق .

واني اذ اناقش الشيخ عثمان في بعض المسائل ، لـم اقصد الانتقـاض من قدره او النيل من مكانته العالية ، وانما اقرر ما اعتقد انه الحق الذي لا أشك ان ابن فودى قد اجتهد في الوصول اليه ، وانما لكل امرئ ما نوى ، والحق أولـى بالاتباع من كل شـيء سواه ..

وقد قسمت الرسالة الى مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة .

أما المقدمة ، فقد جعلتها لبيان سبب اختيار هذا الموضوع بالذات ، والمنهـج الذي سرت عليه ، وخطة البحث . ثم اتجهت لدراسة حالة البلاد قبل قيام حركـة ابن فودى ، وتناولتها من الناحية السياسية ، والاجتماعية والدينية .

أما الباب الأول — فموضوعه عرض تاريخي لحياة ابن فودى ، ويتضمن ستة فصـــول

الفصل الاول — أصل قبيلة الفلانى التى ينتمى اليها الشيخ عثمان .

الفصل الثانى — نسبه واسرتـــه

الفصل الثالث— دراسته وشيوخــه .

الفصل الرابع— مؤلفاته ، ذكرت فيه عددا من مؤلفاته ،والتعريف الموجـــز بمحتويات بعضها ، مع بيان أماكن وجودها .

الفصل الخامس— دعوتـــه

الفصل السادس— هجرته وجهاده فى سبيل الدعوة . عرضت فيــه .
مراحل جهاده ، وبعض النتائج الطيبة التى حققتهـــــا
حركته فى تلك المنطقة ، وموقف المستعمرين من حركتــــه ،
وبينت ما وقع فيه بعض الباحثين من الخطأ فى تفسير حركـــة
ابن فودى .

أما الباب الثانى — فموضوعه آراء ابن فودى الاعتقاديه على ضوء الكتاب والسنـــــة وجعلته فى ثلاثة فصول رئيسية . والفصل الاول فى مسائل الالهيات، ويتضمن ثلاثة مباحـــث .

المبحث الاول — فى بيان طرق الاستدلال على وجود الله عند ابن فــودى
وهى خمسة طريق الفطرة ، وطريق الضرر، وطريق الشهاده ،
وطريق النظر ، وطريق التواتـــــر.

المبحث الثانى— فى بيان موقفه من الصفات الالهية .

المبحث الثالث— فى اثبات رؤية المؤمنين لله عز وجل فى الآخــره .

أما الفصل الثاني — ففي مسائل النبوات وجعلته في ثلاثة مباحث :—

المبحث الاول —في صفات الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

المبحث الثاني— في المعجزات الدالة على صدق الانبياء.

المبحث الثالث— في المفاضلة بين الصحابة رضوان الله عليهم

والفصل الثالث— في مسائل السمعيات وتحته ثلاثة مباحث :—

المبحث الأول — في عذاب القبر ونعيمه

المبحث الثاني— في اشراط الساعة.

المبحث الثالث— في الميزان .

أما الباب الثالث فهو عرض ومناقشه لموقف ابن فودى في بعض المباحث العامه ويقع

في خمسة فصول :—

الفصل الاول — موقف ابن فودى من علم الكلام

الفصل الثاني— الايمان

الفصل الثالث— البدعة

الفصل الرابع— التوسل

الفصل الخامس— الامامة وشروطها

أما الفصل السادس— فقد جعلته لبيان ما بين الشيخ عثمان بن فودى والشيخ محمد بن عبد الوهاب من التوافق في المنهج والهدف ، وما بينهما من الاختلاف في بعض الفروع ، وتعرضت لاختلاف الباحثين في كون ابن فودى تأثر بالشيخ محمد بن عبد الوهاب .

أما الخاتمه ، فقد استعرضت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث.

ولقد حرصت على اعطاء القارئ صورة واضحة عن الشيخ عثمان بن فودى وعقيدته معتمدا على المراجع الأصلية غيرناظر لحكم المعجبين به ولا الناقمين عليه ، فجاءت الرسالة بهذه الصورة التى أرجو أن تكون مطابقة للواقع ، مفيدة فى المحافل العلمية ولا يسعنى هنا الا أن أتقدم بعظيم الشكر والتقدير لفضيلة الاستاذ الدكتور سليمان دنيا الذى تفضل بالاشراف على هذه الرسالة ، وقد منحنى من العطف والرعاية ما جعلنى أتغلب على كثير من العقبات التى واجهتنى اثناء البحث ، فجزاه الله عنى خير الجزاء ،وأسأل الله تعالى أن يكتب ذلك فى ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

كما أشكر ادارة جامعة أم القرى ، وعمادة كلية الشريعة على وجه الخصوص لما أتاحت لى من فرصة ثمينة لمواصلة الدراسة فى قسم الدراسات العليا الشرعية ولما وفرته لى من الامكانات المادية والمعنوية ، كل ذلك خدمة للاسلام والمسلمين ولا يفوتنى أن أكرر شكرى واعتزازى لكل من ساهم فى العمل لانجاز هذه الرسالة من الاخوان الصادقين والاصدقاء المخلصين ، لقد كان لمشورتهم ومساعدتهم خير عون لى ، فجزاهم الله خيرالجزاء .

وختاما ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منى هذا الجهد المتواضع ويسدد الخطا وهو نعم المولى ونعم النصير . . . ،،،،،

التمهيـــــد

ان تاريخ الدعوة الاسلامية في غرب القارة الأفريقيـــة — حاضره ومستقبله — يمثل حلقات قوية متصلة ، فحاضر التاريخ يشهـــد تزايدا مطردا في عدد المسلمين وانتشار الاسلام بين القبائـــل الوثنية ، التي بقيت متمسكة بوثنيتها وتقاليدها الجاهلية منذ قـــرون طويلة [١] .

فهذه الانتصارات التي حققها الاسلام بين مختلف شعوب وقبائل أفريقيا الغربية لشواهد واضحة على أن المستقبل سيكون لهذا الدين — باذن الله — ولكن رغم ذلك يجب ألا نتمسك بأهداب التفاؤل في المستقبل ، بل علينا أن نبحث عن أسباب هذا النصر الذي أحرزه ولم يزل يحرزه الاسلام ونعمل جاهدين لضمان بقائه ولتحقيق مزيـــد من التقـــدم والازدهار في المستقبل .

وان من أهم تلك الأسباب جهود عدد من الرجال الذيـــن قاموا بنشر الدعوة الاسلامية الصحيحة في بيئات تفشى فيها الجهـــل وطغى عليها الجمود الفكري ، وانتشرت فيها البدع والخرافات . وقد

---

(١) كقبيلة ايبو في شرق نيجيريا .

بذلوا فى سبيل الاصلاح كل غال ونفيس ، وسجل لهم التاريخ انجازات خالدة . وكان على رأس أولئك الرجال العظام ، الداعية الكبير ، والمجاهد العظيم الشيخ عثمان بن فودى الفلانى - الذى سيكون محور البحث فى هذه الدراسة ان شاء الله .

لقد عاش الشيخ عثمان - رحمه الله - حياة حافلة بالدعوة والجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الله ، ولا نبالغ اذا قلنا أنه أبرز أعلام شمال نيجيريا فى النصف الأخير من القرن الثانى عشر الهجرى ، وذلك لما حققته حركته الاصلاحية من الأهداف الاسلامية السامية فى ربوع المنطقة . ولذا عنى كثير من الباحثين بدراسة حياة هذا المجاهد (١) الكبير ، الا أن معظم هذه الدراسات كانت مركزة على الجانب التاريخى المحض ، ولم تعن بالجانب العقدى .

وبما أن هذا الجانب لم يحظ بالدراسة العلمية الدقيقة ، فان دراستى هذه معنية بسد هذه الثغرة ، لأن هذا الجانب

من أشهر من كتب عن حياة الشيخ عثمان وحركته :

1- Hiskett, M. 'Kitab al-farq'- a work on the Habe Kingdoms attributed to Uthman Dan Fodio, BSOAS, XXiii, 1960
2-Hodgkin, T. 'Nigerian Perspectives', Oxford, 1960
3-Crowder, M. 'The Story of Nigeria', Faber & Faber 1966
4-Last, D.M. 'The Sokoto Caliphate' Longmans, 1967
5-Balogun, I.A.B 'The Life and Works of Uthman Dan Fodio' Islamic Publication Bureau, Lagos, 1975

آدم عبد الله الالورى - الاسلام فى نيجيريا وعثمان بن فودى الفلانى .

لا يقل أهمية عن الجوانب الأخرى ، لذا فهو جدير بأن يفرد بالبحث

والدراسة المتخصصة . فأبدأ مستعينا بالله ببيان حالة البـــلاد

قبل قيام حركة ابن فودى .

حالة بلاد الهوسا قبل قيام حركة ابن فودى

تقع بلاد الهوسا [1] فى المنطقة الممتدة بين الصحراء الكبرى شمالا واقليم السفانا جنوبا وبحيرة تشاد شرقا ونهر النيجر [2] الأوسط فى الغرب ، وهى بحكم موقعها الجغرافى تعد ملتقى الأجناس المختلفة كالطوارق والفلانيين وغيرهما ممن توافدوا الى هذه البلاد من جهات متعددة . واذا استعرضنا صفحات التاريخ وجدنا أن الأقاليم التى يعيش فيها قبائل الهوسا تتألف من سبعة ممالك

---

(١) تكتب فى بعض المصادر " حوصة " أنظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ٨ ص ١٤٦ مادة " حوصة " وآخرون التزموا كتابتها " حوس" أنظر أنفاق الميسور لمحمد بلو بن عثمان بن فودى (مخطوط) ولكن الغالب والمشهور من الباحثين التزموا كتابتها " هوسا "

(٢) يعتبر نهر النيجر من أهم معالم غرب القارة الأفريقية ، ويبلغ طوله (٢٦٠٠ ميلا) ينبع من مرتفعات فوتاجالون وتتصل به عدة أنهار ، ويصب فى المحيط الأطلسى عند ولاية الأنهار بجنوب نيجيريا . وكان وادى النيجر مركزا للحضارة نتيجة للممالك الاسلامية التى قامت فيه مثل مملكة غانه ، ومالى وصنغى ، ومن أشهر مدن ضفاف النيجر " تمبكتو" التى تعتبر مركزا ثقافيا فى القرن الثانى والثالث عشر الهجرى .

يطلق عليها اسم "هوسا باكواى" [1] وتشمل كلا من غوبر ، داورا ، كاتسينا ، كانو ، رانو،زاريا وغارون غابس [2] ، وعلى كل أقليم أمير نظير للآخر .

وابن بطوطة [3] هو أول من ذكر اسم مملكة من ممالك الحوصة ـ وهى جوبر ـ وكان الحوصة لا يزالون على الوثنية عند زيارة هذا الرحالة لبلاد السودان عام ١٣٥٣ م [4] .

دخل الاسلام هذه البلاد منذ القرن الثامن الهجرى والرابع عشر الميلادى على يد التجار المسلمين الذين قدموا اليها عن طريق شمال أفريقيا ، الا أن الاقبال على اعتناق الاسلام كان بطيئـــا

---

(١) باكواى ـ بلغة الهوسا تعنى العدد سبعة أى امارات الهوسا السبعة .

(٢) انفاق الميسور ص ١٧

(٣) هو ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى نسبه الى لواته احدى قبائل البربر المعروف بابن بطوطه والملقب بشمس الدين ولد فى طنجه (٧٠٤ هـ ـ ٧٧٩ هـ) كان رحالة طاف بمعظم أرجاء العالم ودون رحلاته فى كتابه المسمى (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٨ ص ١٤٢

لم يكن شاملا لجميع طبقات الشعب فى هذا الوقت ، وانما كان مقصورا على بعض الأمراء الذين وجدوا فى اعتناقهم الاسلام عاملا مساعدا لهم لتثبيت نفوذهم واحكام قبضتهم على زمام الأمور فأنشأوا علاقات دينية الى جانب العلاقات التجارية القائمة بينهم وبين التجار الوافدين .

وفى الوقت الذى بدأ فيه تدفق الفلانيين الى المنطقة ، كانت الصلة التى تربط بين هذه الممالك تخضع فى كثير من الأوقات للحروب المتواصلة ، وكانت البلاد مرتعا خصبة للفتن الداخلية والاضطرابات المتكررة والتنافس الشديد بين الأمراء .

أما مملكة غوبر فانها تقع فى أقصى الشمال الغربى من بلاد الهوسا ، جنوب الصحراء الكبرى وتضم عددا من القرى الصغيرة ، وكان أغلب سكانها أهل البادية . لقد فرضت غوبر نفوذها على الممالك المجاورة لها حتى أصبحت فى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى ، الثامن عشر الميلادى أقوى ممالك الهوسا جميعا .

أما داورا فهى أقدم الممالك واليها ترجع أصل بقية الممالك ، وأما كاتسينا فهى واقعة على طريق القوافل التجارية الممتد من تمبكتو الى بلاد برنو متجها نحو شمال أفريقيا وقد نالت شهرة واسعة فى

مجال التجارة ، ولما تسرب اليها الاسلام صارت من أكبر مراكـــز
الثقافة الاسلامية فى غرب افريقيا ، وتذكر المصادر أن أميرها المسلم
" محمد كوراو " حكم البلاد لخمسين سنة خاض عددا من المعارك
ضد " نوبى " التى كانت متاخمة لحدود بلاده . (١)

أما " كانو " فهى أشهر بلاد الهوسا الى يومنا هذا ، وقد
كانت من أسبق ممالك الهوسا دخولا فى الاسلام ، وذلك فى القرن
الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى حين وفد اليها جماعة من العلماء
من " مالى " دعوا ملوكها الى الاسلام فاستجابوا لهم . (٢) وقد اعطت
" كانو " بعد اسلامها أهمية كبرى فى مجالات الثقافية والتجاريـة
الا أن النزاعات القائمة بينها وبين جاراتها تسلبها أهميتها ، وفى
القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى أصابها ضعـــف
شديد من جراء الهجوم التى شنته عليها كل من برنو من الشرق وكبى
وكانسينا من الغرب . (٣)

1- Hogben, S.J 'An Introduction to the History of the Islamic States of Nothern Nigeria' Oxford University Press, 1967, page 82

2-Balogun, I.A.B op.cit Page 24, Hogben: op.cit Page98 Hodgkin,op.cit Page 26

3-Balogun, I.A.B. Ibid,page 24

أما زاريا (زكزك) فلم ينتشر فيها الاسلام قبل قيام حركة ابن فودى الا قليلا وتذكر المصادر أن أميرها " جاتاو " (١٧٧٦-١٨٠٦م) كان قد أسلم ، وبنى مسجدا ولكن ابنه " ماكاو " قد ارتد عن الدين وأمر بهدم المسجد بعد توليه الحكم . (١)

فالظاهر مما سبق أن هذه الممالك لم تكن متحدة فيما بينها وانما تسودها حالة الفوضى والحروب المتتالية . يقول الدكتور عبد الرحمن : (احتفظ الجوبراوة - سكان جوبر - بسيادتهم فى الشمال الغربى ، كما كان لبرنو السيادة على الشمال الشرقى ، وكانت مملكة جكون قد بسط كلمتها على شعب الكوارافة ، وأما نوبى فى الجنوب ، فظلت سيدة نفسها بالرغم من ضعفها بسبب المعارك الداخلية ، أما كتسينة ، وزاريا فقد كانت اسميا مستقلتين تحت حماية برنو ، هكذا بالاختصار كان الموقف السياسى لدول الهوسا حين تدفقت جحافل الفولة عليها بزعامة عثمان دان فوديو) (٢)

1- Hogben, S.J op.cit page 117

(٢) د . عبد الرحمن زكى - الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ، ص ٨٤

لقد عاش ابن فودى - رحمه الله - فى مملكة غوبر ما بين ١٧٥٤ - ١٨١٧ م وشهد هذه الاضطرابات السياسية التى تجتاح بلاد الهوسا ، فالعداء كان سائدا بينها ولم يجد الأمن والاستقرار طريقا اليها .

الحالة الاجتماعيـــة

تسيطر على هذه البلاد حالة اجتماعية متردية ، فالظلم كان منتشرا فى المجتمع ، والضرائب تفرض على الناس بلا هوادة "لقد كان الملوك يعتمدون على جيوشهم الخاصة ورجال البلاط لتحقيق مطامعهم ، فكانوا بعيدين منعزلين عن شعوبهم ، فانقسم الشعب الى سادة وأتباع ، أما السادة فكان عمادهم الظلم والارهاب ، يخشون على ملكهم من جيرانهم ومنافسيهم بينما أفراد الشعب ، سواء أكانوا من الفلاحين أو أصحاب المهن ، فقد عانوا الضرائب الباهظة وطغيان رجال الحكومة فى جباية الأموال ، وكانت تتوفر بالمدن الأموال الوفيرة بيد أنها تذهب الى جيوب حفنة من الحكام" (١)

اذا كان الحكام يلجئون الى العنف والقسوة فى معاملتهم مع الرعية ، واذا كان الفلاحون والصناع يعانون من كثرة الضرائب التى تفرض عليهم فكيف يكون المجتمع الذى يحكمونه الا غارقا فى الفوضى وعدم الاستقرار . فهذه الأمور تعكس الحالة المتدهورة التى وصل اليها المجتمع فى ذلك الوقت.

---

(١) د . عبد الرحمن زكى ـ تاريخ انتشار الاسلام فى غرب أفريقيا ، ص ١٠٢

وعلى الرغم من سوء الحالة السياسية والاجتماعية ، فقد شهدت بلاد الهوسا عصرا زاخرا بالنهضة العلمية عندما استقر فيها الفلانيون واتخذوها منزلا لهم بعد هجرة دامت قرونا من بلاد فوتاتور ، لقد نبغ في البلاد علماء أجلاء ذووا آفاق واسعة في العلوم الفقهية ، واللغوية والتاريخية ، لذلك كثر انتاجهم العلمي ، الا أن هذا التراث الضخم لم يحظ بالاهتمام المناسب عند الباحثين المتأخرين ، والسبب في ذلك فيما يبدو ، يرجع الى ندرة وجود هذا التراث وقلة الباحثين في هذا المجال .

وفيما يلي أنقل أسماء عدد من علماء بلاد الهوسا وطائفة من تراثهم العلمي : -

١ - منهم الشيخ المكاشف المعروف بابن الصباغ ، له شرح على العشرينيات (١) ، وله قصائد كثيرة .

٢ - منهم الشيخ محمد بن سنة المتوفى ١٠٧٨ هـ وله " النفحة العنبرية في شرح العشرينيات و " بزوغ الشمسية في شرح العشماوية " .

---

(١) قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم للفازازي . مرتبة حسب حروف المعجم تحت كل حرف عشرون بيتا .

٣ - ومنهم الشيخ محمد مود الكشناوى صاحب كتاب " صرف العنان "

٤ - ومنهم الشيخ رمضان بن أحمد ، وكان أصله من فزان ، استوطن زنفرى وله " الجوهرة فى ذم علم النجوم " (١) .

------

(١) أنظر انفاق الميسور (مخطوط) ص ٢٣ - ٢٥ ، آدم عبد الله الالورى - الاسلام فى نيجيريا والشيخ عثمان بن فودى الفلانى ص ٦١ - ٦٤ .

الحالة الدينية

يرجع الفضل في نشر الاسلام في ربوع بلاد الهوسا الى مملكة مالي الاسلامية التي قامت في أوائل القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، غير أن بعض العادات القديمة ظلت قائمة منتشرة في المجتمع ، وظل آثار هذه العادات ظاهرة على عقيدة الناس وسلوكهم عند قيام حركة ابن فودي ، وقد عبّر عن هذه الظاهرة اذ يقول : (المعروف في زماننا هذا أن الاسلام مستفيض في هذه البلاد في غير سلاطينها ، وأما سلاطينها فكفار قطعا ، وان كانوا يدينون بدين الاسلام الا أنهم أهل الشرك وصد عن سبيل الله واعلاء راية ملك الدنيا على راية الاسلام ، وذلك كله كفر على الاجماع ، ولا يختلف اثنان أن سلاطين هذه البلاد يعظمون بعض الأماكن وبعض الأشجار وبعض الأحجار بالذبح والصدقة عندها [١])

وقد نظر ابن فودي الى المجتمع فوجد الناس فيه على ثلاثة أقسام فيقول : (اعلم يا أخي أن الناس في هذه البلاد على ثلاثة أقسام :-

---

(١) الشيخ عثمان بن فودي - تنبيه الاخوان (مخطوط) ص ٦ ، - كتاب نور الالباب ص ٢

١ - قسم منهم يعمل أعمال الاسلام ولا يظهر منه شيئ من أعمال الكفر ، ولا يسمع منه شيئ مما يناقض الاسلام ، فهؤلاء مسلمون قطعا تجرى عليهم أحكام الاسلام .

٢ - قسم منهم مخلط يعمل أعمال الاسلام ويظهر أعمال الكفر ويسمع قوله مما يناقض الاسلام فهؤلاء كافرون قطعا لا تجرى عليهم أحكام الاسلام .

٣ - وقسم منهم ما شمّ قط رائحة الاسلام ، فهؤلاء لا تلتبس حكمهم على أحد) .

ويمضى الشيخ عثمان فى بيان خصال من أسماهم " بالمخلطين" فيقول : (فمن المخلطين من يزعم أنه مسلم ويعمل أعمال الاسلام ومع ذلك يكذب ببعث الأموات ويقول لا بعث بعد الموت ومنهم من يزعم أنه مسلم ويعمل أعمال الاسلام وهو مع ذلك يستهزئ بدين الله ، ويستهزئ بالمتواضعين وبالنساء التى تحجبن من الرجال الأجانب .

ومنهم من يزعم أنه مسلم ويعمل أعمال الاسلام وهو مع ذلك يزعم أنه يعلم شيئا من علم الغيب بالخط فى الرمل أو بأحوال النجوم أو بأخبار الجن أو بشيئ من أصوات الطيور أو بحركاتها أو غيرذلك ،

ومنهم من يزعم أنه مسلم ويعمل أعمال الاسلام ومع ذلك يأتي الى الكهان ويسئلهم عن أمره ويصدقهم فيما يقولون ، ومنهم من يزعم أنه مسلم ويعمل أعمال الاسلام ومع ذلك يضع ثوبا أو طعاما أو غير ذلك على قبر الولى أو عالم أو عابد على طريق النذر ويظن بجهله أنه يوفى نذره) (١)

وبهذا يصدق على مجتمع بلاد الهوسا في عصر ابن فودى أن يسمى مجتمعا اختلطت فيه العقائد الجاهلية بالاسلام ، وهكذا يتبين لنا أن الحالة السياسية والاجتماعية والدينية في ذلك العصر قد بلغت من الانحطاط والفساد الحد الذى هيأ الظروف لظهور حركة التجديد والاحياء الاسلامى الذى قام بها الشيخ عثمان بن فودى . وفيما يلى من الفصول نتعرف على قائد هذه الحركة وحقيقة ما يدعو اليه ومنهجه في ذلك .

---

(١) الشيخ عثمان بن فودى ـ كتاب نور الألباب (مخطوط) ص ١-٢

البـــــاب الأول

عرض تاريخي لحياة الشيخ عثمان بن فودى ، ومؤلفاته ، وجهاده

الفصل الأول : أصل قبيلة الفلانى

الفصل الثانى : نسبه وأســـــرته

الفصل الثالث : دراسته وشيوخـــه

الفصل الرابع: مؤلفاتـــــــــه

الفصل الخامس: دعوتـــــــــه

الفصل السادس : هجرته وجهاده فى سبيل الدعوة .

الفصل الأول : أصل قبيلة الفلاني

" كان الفولانيون شعبا من الرعاة ، موطنه الأصلي في حوض السنغال ، وقد انتشرت فروع هذا الشعب وجماعاته في كل المساحة الواسعة الممتدة من السنغال الى اقليم تشاد واشتهرت منهم أربعة فروع كبيرة هي : -

أ - الفولانيون السنغاليون المعروفون بفولا فوتاتور.

ب - الفولانيون الغينيون المعرفون بفولا فوتاجالون .

ج - الفولانيون في اقليم ماسينا وبلاد حوسى .

د - الفولانيون في أدماوه في جنوب شرقي نيجيريا وبلاد الكمرون" (١)

لقد اختلف المؤرخون في أصل قبيلة الفلاني ، فبعضهم يردهم الى سلالات يهود سيرنيكا الذين انتشروا في أرجاء الصحراء بعد مطاردة الدولة الرومانية لهم (٢) ، وقيل أنهم من أصل هندي أو فارسي نزحوا من بلاد آسيا ، وآخرون يذهبون الى أنهم من أصل مصري (٣)

---

(١) د . حسين مؤنس: " الاسلام الفاتح " سلسلة دعوة الحق ، مطبوعات رابطة العالم الاسلامي بمكة العدد الرابع ص١٣٧ . وتجدر الاشارة الى أن اقليم أدماوه يقع في شمال الشرقي لنيجيريا .

2- Encyclopaedia of Islam, New Edition, Vol II, Luzac & Co, London Page 929

لأنهم يشبهون صور المصريين المنقوشه على القبور من عهد الهكسوس (١)

وقيل أنهم جنس مستقل له خصائصه ، نشأ بين الأجناس المختلفة

ثم امتزجت فيما بعد بالمصاهرة . (٢)

ومن العلماء من يرجح كونهم من صعيد مصر نظرا للملامح النفسية والاجتماعية الظاهرة على الشعب الفلانى والتى تشبه الملامح الموجودة فى مصر ، يقول الدكتور عبده بدوى :

(اذا كان المؤرخون قد اختلفوا حول أصل الفلانيين فان هناك ما يشبه الاجماع على أنهم قدموا من " صعيد مصر " بالرغم من القول بأنهم من أصل هندى أو فينيقى أو يهودى . ولعل القول بأنهم من صعيد مصر يدل دلالة واضحة على أنهم كسبوا أشياء كثيرة من مصر ، فالذين كتبوا عنهم يوردون فيما يكتبون - دون قصد - ملامح نفسية واجتماعية تشبه من قريب أو بعيد الملامح الموجودة فى مصر . . . . فهم يذكرون فيما يذكرون أنهم قوم مسالمون ، هادئون ، بارعون فى زراعة القطن والقمح ، كرماء ، متعاطفون ، يشبهون التماثيل المصرية القديمة) . (٣)

---

(١) Lady Lugard: 'A Tropical Dependency, Frank Cass& Co, 1964 Page 379

(٢) نفس المرجع (نقلا عن ديلافوس)

(٣) د . عبده بدوى : مع حركة الاسلام فى افريقيا ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م ص ١٧١

وأما الفولانيون أنفسهم فانهم يردون أصلهم الى الصحابي الجليل - عقبة بن نافع الذى فتح بلاد المغرب زمن عمرو بن العاص فى مصر ، يقول عبد الله بن فودى /"فحصينا" تورود ب الذين جاءوا من فوتسا وهم فيها نسمع أخوال جميع الفلانيين ، ولغة الفلانيين لغتهم لأن عقبة بن عامر المجاهد الذى فتح بلاد المغرب زمن عمرو بن العاص (١) فى مصر وصل اليهم وهم قبيلة من قبائل الروم ، فأسلم ملكهم من غير قتال ، وتزوج عقبة ابنة ملكهم اسمها " بجّ مغّ " فولد الفلانيين جميعا هذا ما تواتر عندنا وأخذناه من الثقاة الذين يخرجون من بلاد فوتا - أعنى العلماء منهم - فتكلموا بلغة أمهم ولم يعلموا لغة أبيهم لقلة من يتكلم بها هنالك فى ذلك الوقت " (٢)

ويقول الشيخ محمد بن أعظ الشهير بألفا هاشم الفوتى (المتوفى ١٣٤٩ هـ) بعد أن تتبع نسب الصحابى عقبة بن نافع الفهرى :

(والفلانيون على ما تقدم عرب من جهة أبيهم عقبة ، والعرب من اسماعيل بن ابراهيم ، ومن جهة أخوالهم التورود يين من روم ، بن عيصو بن اسحاق

---

(١) الصواب عقبة بن نافع الفهرى

(٢) عبد الله بن فودى - تزيين الورقات ص ٣١

بن ابراهيم ، ومن جهة نسمة أم الروم هم أيضا من اسماعيل بن ابراهيم على نبينا وعليهم الصلاة والتسليم "(١)

وقد هاجر الفولانيون من بلاد فوتاتورا الواقعة في منطقة وادى نهر السنغال في القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى واستوطنوا مدينة كونى (Konni) في مملكة غوبر الهوسوية وهم ينقسمون قسمين رئيسيين :

- قسم سكن المدن وعرفوا باسم فلان غدا أى المهجنين أو المختلطين لاختلاطهم بقبائل الهوسا وأكثرهم يشتغلون بالعلم والتجارة وقد نبغ منهم العلماء الفحول ،

- وأما القسم الآخر فمن البدو ، ولم يختلطوا بقبائل الهوسا وعرفوا باسم (بروروجى) Bororoen وهم يشتغلون برعى البقر والمواشى ، وهم دائما شبه رحل يتناقلون من مكان الى مكان في طلب أطيب المراعى لمواشيهم .(٢)

---

(١) محمد بن أحمد الشهير بألفا هاشم الفوتى - كتاب تعريف المشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان ، المطبعة الماجدية بمكة ١٣٥٤ هـ ص ١٨

(٢) أنظر الاسلام فى نيجيريا ص ٩٣ وكذلك Balogun, I.A.B op.cit Page 16

يدينون الفولانى غدا (Fulanin Gida) بالاسـلام ويتمسكون بالتعاليم الاسلامية فى كثير من شئونهم ، أما البوروروا ، فانهم لم يهتدوا الى نور الاسلام ، بل كانوا يدينون بالوثنية .

ويطلق على الشعب الفولانى اسماء كثيرة منها فلبى ، وفلان ، وفلاتى ، وفيول (١) ولغتهم فولانية أو فلفلدى .

فمن هذه القبيلة الشهيرة ظهر الشيخ عثمان بن فودى الذى غير وجه التاريخ بدعوته الاصلاحية ، وأقام دولة اسلامية فى القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى ، وصار لها شأن يذكر فى تاريخ الاسلام المعاصر .

1- Trimingham, J.S 'Islam in West Africa' Clarendon Press, Page 11

الفصل الثانى : نسبه وأسرته

هو الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد (الملقب غورطو) بن محمد ثنبو بن أيوب بن ماسران بن أيوب بن بابا بن موسى الملقب (جكلو) الذى جاء مهاجرا من بلاد فوتاتور (Futa Toro)

أما كنيته فهى أبو محمد ، وأما لقبه فهو (الشيخ) اشتهر بهذا اللقب وكاد أن يكون علما له . ولد الشيخ عثمان فى مدينة مراتـــا (Maratta) بأرض غوبر يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر صفر عام ١١٦٨ هـ (١) الموافق للخامس عشر من شهر ديسمبر ١٧٥٤م (٢) .

نشأ الشيخ عثمان فى بيت اشتهر بين قبائل الفلانيـة بالعلم والصلاح والتقى ، لقد ولد لأبوين صالحين ، ونشأ فى حجرهما . فأبوه (محمد) كان يلقب (فودى) أى الفقيه باللغة الفلانية . وهذا اللقب يدل دلالة واضحة على ما كان يتمتع به والده من منزلـة عالية رفيعة فى قومه وعشيرته ، وأمه (حواء) وجدته (رقية) كانتـا

---

(١) هناك من يذكر أن مولده كان سنة ١١٦٩ هـ ولم يذكر شهر مولده كالأستاذ آدم عبد الله الالورى فى كتابه الاسلام فى نيجيريا ص٩٤

2- Last, D.M op.cit Page 3, Balogun, I.A.B opcit Page 27

معروفتين بالعلم والمعرفة ، وأخوه (عبد الله) عالم جليل ، لـــه مؤلفات عديدة في التفسير والفقه واللغة والسياسة الشرعية (١)

----

(١) منها ضياء التأويل في التفسير وألفية الأصول وتزيين الورقات وضياء الحكام وغير ذلك ، كما نظم النحو في أكثر من أربعة آلاف بيـت في كتابه البحر المحيط وله في الصرف ما يقارب ألف بيت شعـر في كتابه الحصن الرصين .

الفصل الثالث : دراسته وشيوخه

لم يكن التعلم في عصر ابن فودي مقصورا على شيخ واحد يتلقى منه الطالب فنون العلم المختلفة ، وانما كان على الطالب أن ينتقل من مكان الى مكان آخر لأخذ العلم من مشاهير العلماء بعد حفظه لكتاب الله ، حتى اذا نبغ الطالب وتكونت لديه الملكة العلمية ، أجازة شيوخه فيما أخذ عنهم ، ثم يتفرغ للتدريس . ولكي يزداد لنا تلامح شخصية الشيخ عثمان أرى القاء الضوء على الشيوخ الذين كان لهم الأثر الكبير في توجيهه .

لقد كان من براعة الاستهلال في حياته العلمية أن يتتلمذ منذ صغره على والده (محمد فودي) حيث حفظ عليه القرآن ، ثم أخذ في تحصيل العلوم الدينية على يد طائفة من علماء بلده . فأخذ الاعراب وعلوم النحو من الشيخ عبد الرحمن بن حمدا ، وقرأ المختصر في الفقه المالكي على عمه عثمان المعروف ببدور ابن الأمين ، وأخذ التفسير من الشيخ أحمد بن محمد الأمين وحضر مجلس هاشم الزنفري وسمع منه التفسير من أول القرآن الى آخره ، ودرس الحديث على الشيخ الحاج محمد بن راج ، قرأ عليه صحيح البخاري جميعه ثم أجازه جميع مروياته .(١)

1- Hiskett, Material Relating to the State of Learning among the Fulani before their Jihad' BSOAS XLX, 1957 Page 554

ثم ارتحل الشيخ عثمان لطلب العلم عند الشيخ جبريل بن عمر في مدينة أغديس (Agades)[(١)] ولازمه مدة سنة ، ولم يفارقه الا بعد أن توجه الشيخ جبريل الى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحـــج ،[(٢)] ولم يصاحبه الشيخ عثمان في رحلة الحج لأن اباه لم يأذن له بذلك .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المقام أن الشيوخ الذين أخذ عنهم على اختلافهم هم أشهر علماء بلاد الهوسا من الفولانيين والطوارق ولم تذكر المصادر أنه أخذ عن أحد من العرب مما يدل على أن دراسته كانت محلية الى حد كبير .

وينبغي أن نضيف الى شيوخ ابن فودى وأساتذته أولئك العلماء الاعلام الذين كانوا رواد الفكر الاسلامي في تلك البلاد حيث قرأ لهم وتخرج على كتبهم المختلفة من أمثال الشيخ عبد الكريم التلمساني المشهور بالامام المغيلي المتوفى سنة ٩٠٩ هـ الموافق ١٥٠٤م (وهو مـــن أعلام الاسلام في القرن التاسع الهجري ، كتب عنه أحمد بابا في : " تطريز الديباج " وذلك أنه من علماء تلمسان ، وقد ارتحل الى بلاد السودان ، ودخل مدينة تكدة ومكث فيها وأخذ عنه علماؤها ثـــم جاء الى مدينة (كاتسينا) واجتمع بسلطانها وانتفع به أهلها ، ثم جاء الى مدينة " كانو " وتولى القضاء والافتاء بها وأخذ عنه علماؤها ،

---

(١) أغديس ـ مدينة تقع بالقرب من طريق القوافل الممتد بين أقليم السودان الأوسط وبلاد المغرب .

2- Hiskett,M op.cit Page 555

ونزل ضيفا على " أسكيا " محمد وكتب له فتاوى دينية ووصايا سياسية (١)

وللامام المغيلي من المؤلفات ـ البدر المنير في علم التفسير ، المغني النبيل في شرح مختصر الخليل ، مفتاح النظر في علم الحديث ، المقدمة في المنطق ، ومنح الوهاب . (٢)

لقد كانت الفتاوى والوصايا* التي كتبها الامام المغيلي لأسر أسكيا محمد موضوع اعجاب العلماء يحتفظون بها ويتدارسونها وينقلونها على مر الزمان ، ولكن دون أية محاولة منهم لتطبيقها على واقع بلادهم المتدهور ، وقد اطلع الشيخ ابن فودي على هذه الوصايا عند شيوخه وكان لها أثرها البالغ في قلبه وتعلقت بها نفسه ، ثم شمر عن ساعد الجد ، فعقد العزم على تحويلها الى أمر واقع بتطبيقها وتنفيذها ، وكان كثيرا ما ينقل من هذه الفتاوى في مؤلفاته العديدة فكأنما يتلقى عن الامام المغيلي مباشرة . (٣)

---

(١) الاسلام في نيجيريا ص ٨٨ - ٨٩ ، أنظر أيضا :
'Nigerian Perspectives' Page 115

(٢) لمزيد من مؤلفات المغيلي أنظر :
Bivar, A.D.H & Hiskett, M 'The Arabic Literature of Nigeria to 1804' B.S.O.A.S XXV, 1962 Page 107-109

(٣) أنظر على سبيل المثال كتابه سراج الاخوان حيث جعل فتاوى المغيلي مستنده في كل ما يقرره من المسائل ، كما نقل جزءا من وصية المغيلي في الفصل السادس من كتابه تنبيه الاخوان .

* وقد نشر المستشرق بليدن Blyden احدى رسائل المغيلي في بيروت عام ١٩٢٠) بعنوان "التزامات الأمير" Obligations of the Princes"

الفصل الرابع : مؤلفاتـــــه

لقد خلق الشيخ عثمان بن فودى رحمه الله مؤلفات كثيرة فـى مختلف المجالات ، وهذه المؤلفات بمجموعها تشهد بغزارة علمه وطول باعـــه فى الثقافة الاسلامية ، وأن المتتبع لمضمون هذا التراث العلمى ليدرك أنه يهدف الى أمور كثيرة نذكر منها :

أ ـ اصلاح المجتمع بتربية طلائع الحركة حتى تصبح مؤهلة لحمـل مسئولية الدفاع عن الدين واقتلاع جذور البدعة .

ب ـ بيان أمور العقيدة بأركانها الثلاثة ـ الالهيات والنبوات والسمعيات واقامة الدليل عليها .

جـ ـ الدعوة الى ولاية المسلمين ونبذ ولاية الكفار مع بيان العلاقة بين المسلمين وغيرهم فى اطار الفقه الاسلامى .

د ـ الرد على منتقديه فى بعض أساليبه وآرائه .

هـ ـ الرد والاجابة على مسائل وجهت اليه .

لذلك أخذ معظم هذه المؤلفات طابع رسائل ارشادية يختلف حجمها باختلاف دوافعها وقد لا تتجاوز بضع عشرة ورقة ، وقد يجعل ما كتبه مرة فصلا ضمن مؤلف آخر أكبر حجما (١) ، هذا وما زال معظـــم

---

(١) مثل رسالته الصغيرة المسماة " أصول الدين " فانها فصل ضمن كتابه احياء السنة .

مؤلفاته مخطوطا مبعثرا في بعض المكتبات الخاصة ، وكاد يطوى بعضها الزمن لعدم العناية به .

أما عدد مصنفاته فقد ذكر ابنه محمد بلو في كتابه " انفاق الميسور " انه ينيف على المائة ولم يذكر لنا سوى سبعة وعشرين (١) ، غير أن المراجع الحديثة قد ذكرت له مائة وخمسة عشر كتابا (٢) .

والظاهر أن سبب ضخامة العدد يرجع الى عدم التميز بين المصنف الذى يصح أن يسمى كتابا ، والرسالة الصغيرة التى لا تتجاوز بضع صفحات . هذا وقد عكف بعض المستشرقين وتلاميذهم على تحقيق ما وصلت اليها أيديهم من مصنفات الشيخ عثمان ونقلها الى اللغة الانجليزية (٣) كما قام بعض المطابع المحلية والعربية بنشر جزء من تراث الشيخ (٤) ولقد حرص مركز تقييد الوثائق العربية بجامعة ابادن ، ووحدة البحوث العلمية التابعة لجامعة عبد الله بايرو بكنو على حصر هذه المخطوطات والعناية بها تيسيرا للباحثين .

---

(١) انفاق الميسور ص ١٨٧

(٢) أنظر Balogun,I.A.B op.cit 43-48, Last,D.M 237-240

(٣) أنظر على سبيل المثال : Hodgkin,T op.cit 244-255
Hiskett,M An Islamic Tradition of Reform in the Western Sudan, BSOAS, XXV,1962

(٤) لقد طبع كتاب احياء السنة تحت اشراف جامعة الأزهر ، كما عني الشيخ عمر محمد الفلاتي بطبع كتاب سراج الاخوان على نفقته الخاصة .

ولنا أن نتسأل عن اللغة التى كان يؤلف بها الشيخ عثمان ،
والواقع أن اللغة العربية هى التى كانت تربط بين طبقة المثقفين من
الهوسا والفلانى والطوارق وغيرهم من القبائل التى تسكن المنطقة
التى عرفت قديما بالسودان الغربى ، لذلك كان معظم مؤلفاته
باللغة العربية ، وله بعض القصائد باللغة المحلية الفلاتية أو الفلفدى).

وفيما يلى عرض سريع لبعض مؤلفات الشيخ عثمان مع التعريف
بمحتوياتها :

١ - كتاب احياء السنة واخماد البدع :

يعتبر أشهر وأكبر كتب الشيخ عثمان ، وقد قامت لجنة
من جامعة الأزهر بالاشراف على اخراجه وطبعه سنة ١٣٨١ هـ،
وقدم له سعادة الدكتور محمد البهى . والكتاب يقع فى مائتين
وتسع وثلاثين صفحة ويشتمل على ثلاثة وثلاثين بابا تناول فيه
ابن فودى بيان طريقة السنة فى العقائد والعبادات والمعاملات
مع تفصيل القول فى البدع التى استحدثها الناس فيها . وقد
استفتح الكتاب ببيان حد الكتاب والسنة والاجماع مع بيان أدلة
وجوب اتباعها لأنها أصول التشريع الاسلامى .

٢ - كتاب نصائح الأمة المحمدية : (١)

وهو مخطوط يقع فى ثلاثين ورقة ، ويتضمن بيان الحالة الدينية والفرق المنتشرة فى بلاد الهوسا فى عصره ، وحكمه على كل فرقة منها ، وتوجد نسخة لهذا المخطوط فى مركز تقييد الوثائق العربية بجامعة ابادن تحت رقم ك ٨٢/ ٩٤ وقد أشار اليه محمد بلو ضمن مؤلفات الشيخ عثمان فى انفاق الميسور .

٣ - كتاب هداية الطالبين : (مخطوط)

يقع فى ست وثمانين ورقة ويحتوى على ثلاثة أبواب . الباب الأول فى علم أصول الدين ، الباب الثانى فى علم التصوف حيث تعرض لذكر شعب الايمان مع بيان أدلتها من الكتاب والسنة ، والباب الثالث فى الأحاديث المختارة من الصحيحين أو أحدهما التى لا ينبغى أن يغفل عنها العاقل ، وتوجد نسخة للمخطوط المذكور فى وحدة البحوث العلمية التابعة لمكتبة جامعة بايرو بكنو وكذلك فى مكتبة المدرسة النظامية بمدينة سكوتو الا أنها ناقصة .

---

(١) وقد قام المستشرق هسكت بنقل جزء من هذا الكتاب الى الانجليزية ونشر فى دورية معهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن ، رقم ٢٥ ، ٢ ١٩٦٢

٤ - كتاب الاجوبة المحررة عن الأسئلة المقررة فى وثيقة الشيخ شيصماص (مخطوط)

الكتاب يقع فى ثلاث وعشرين ورقة ، ويتضمن اجابة الشيخ عثمان على أربعة عشر سؤالا وجهت اليه فى مسائل الفقه والعقيدة ، والجهاد ، وكان يستدل بأقوال كبار العلماء كالامام الغزالى ، والسنوسى ، والامام عبد الكريم المغيلى ، وتوجد نسخ لهذا المخطوط فى مركز الآثار القومية فى مدينة كدونا ، وفى سكوتو ، وجوس وابادن تحت رقم سى أى دى / ١٤٠

٥ - كتاب بيان وجوب الهجرة على العباد :

ويقع فى نحو مائة وست وخمسين صفحة ، وقد خصصه ابن فودى لبيان حكم الهجرة من بلاد الكفار ، وحكم نصب الامام واحكامه ، ثم أتبعه بحكم الجهاد وآدابه وما يتعلق بالفىء والغنائم .

وقد قام الدكتور فتحى حسن المصرى بدراسة الكتاب ونقله الى الانجليزية عام ١٩٦٣ م .

٦ - مسائل مهمة : مخطوط بتاريخ ١٢١٧ هـ

تعرض الشيخ فى هذا الكتاب لبيان خمس مسائل أولها ان أساس الدين الاسلامى هو اقامة الشريعة وتطبيقها ، ثانيها ان الهجرة من بلاد الكفر الى بلاد الاسلام واجبة ، ثالثها ان الذين يقفون مع الكفار ضد المسلمين لابد أن يعتبروا كفارا بالموالاة . رابعها ان على المسلمين أن ينصبوا اماما أو خليفة وأخيرا ان الجهاد ضد الكفار والمرتدين واجب .

وتوجد للمخطوط نسخ فى ابادن تحت رقم ك ٨٢/٨٦ ومكتبة المدرسة النظامية بسكوتو .

٧ - كتاب معراج العوام الى سماع علم الكلام (مخطوط)

وهو رسالة صغيرة فى موضوع علم الكلام ، تعرض فيها لبيان أقسام التوحيد الثلاثة الالهيات والنبوات والسمعيات مستدلا على ما جاء فى كل قسم بأدلة القرآن والسنة وأقوال العلماء .

٨ - عمدة البيان فى العلوم التى وجبت على الأعيان (مخطوط)

ينقسم هذا الكتاب الى ثلاثة أقسام ، القسم الأول فى علم التوحيد ، والثانى فى علم الفقه والثالث فى علم التصوف ، فالقسم

الأول منه لا يختلف كثيرا عن كتاب معراج العوام المذكور آنفا الا في أسلوب العرض فقط ، بل يعتبر تكرارا له ، وقد التزم المذهب المالكي في القضايا الفقهية التي تعرض لها في الكتاب. وتوجد لهذا المخطوط نسخ في مكتبة جامعة بايرو بكنو ، وفي سكوتو وابادن ، وقد أشار اليه محمد بلو في انفاق الميسور أيضا .

٩ - ارشاد أهل التفريط والافراط (مخطوط)

وهو عبارة عن تعليمات وجهها الشيخ الى اتباعه بعدم الاسراع في تكفير العوام من الناس لأن أحكام الشرع مبنية على الظواهر ، والله وحده هو الذي يتولى الحكم على البواطن ، ثم ذكر أن (جميع مصطلحات) علم الكلام من فروض الكفاية وليست واجبة على العوام والمخطوط يقع في اثنتين وعشرين ورقة ويوجد له نسخ في كانو ومكتبة بلدية سكوتو وفي ابادن تحت رقم ١١٥ /٢ ٨

١٠ - تنبيه الأمة على قرب هجوم أشراط الساعة (مخطوط)

يعتبر هذا المخطوط بمثابة دعوة موجهة الى أفراد جماعة الشيخ بالاستقامة والانضباط ، مع أخذ الاحتياط لأنفسهم بالتوبة

والعمل الصالح قبل أن يحال بينهم وبين تدارك ما فرط منهم ، ثم عقد فصلا لبيان ما ورد في ذكر أشراط الساعة الكبرى منها والصغرى ـ وما قد وقع منها وما لم يقع بعد ، وكان كثيرا ما ينقل عن الامام القرطبي في كتابه " التذكرة " .

١١ ـ سراج الاخوان في أهم ما يحتاج اليه في هذا الزمان :

الكتاب يقع في عشرة فصول ذكر فيه الفرق بين المسلمين والكافرين ، وبين علماء الدين أنصار الرحمن وبين علماء السوء أنصار الشيطان كما أورد فيه أحكام الجهاد وما يجب على علماء وأمراء المسلمين من اقامة شعائر الاسلام وتغيير المنكرات مع شرح حقيقة الحلال والحرام ، وقد اعتمد الشيخ عثمان على أجوبة الامام المغيلي للأمير أسكيا محمد في معظم ما يقرره في هذا الكتاب ، وقد طبع هذا الكتيب على نفقة الشيخ عمر محمد الفلاتي .

١٢ ـ الخبر الهادي الى أمور الامام المهدي (مخطوط)

وهو عبارة عن رسالة صغيرة حررت لتحديد موقف الشيخ عثمان في قضية المهدية التي شغلت أذهان الناس في ذلك

العصر ، وقد ذكر فيه أن خروج المهدى أمر مقطوع به لثبوت الأدلة الواردة فيها ، كما يرد فيه على كل من يدعى أو يزعم أنه المهدى فى تلك المنطقة كابن تومرت وغيره ثم يقرر ان وقت خروج المهدى لا يعرفه الا الله لعدم ورود الأدلة على تحديد موعده .

هذا ، ولم يشر محمد بلو الى هذا الكتاب ضمن ما ذكره فى انفاق الميسور . الا أن المصادر الحديثة قد أشارت الى وجوده فى ابادن .(١)

١٣ - تنبيه الطلبة على أن الله معروف بالفطرة (مخطوط)

فيه سرد للآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء فى اثبات وجود الله بالفطرة الغريزية المركوزة فى كل انسان . والمخطوط يقع فى ثمانى ورقات وتوجد له نسخة فى كدونا وكانو .

١٤ - سوق الأمة الى اتباع السنة :

فيه بيان آثار الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وبيان منهجهم فى اتباع الكتاب والسنة ، كما ذكر الأحاديث التى فصلت

---

(١) أنظر The Sokoto Caliphate, page 238,
The Life and Works of Uthman Dan Fodio, Page 44

اجمال ما في حديث جبريل عليه السلام من ـ الاسلام ، والايمان والاحسان .

وهناك مؤلفات أخرى سوى ما ذكرناها عدها العلماء الذيـــن كتبوا عن ابن فودى ضمن تراثه العلمى منها :

١ ـ حصن الأفهام من جيوش الأوهام ـ طبع بمطبعة الزاويـــة التجانية بالقاهرة.(١)

٢ ـ بيان البدع الشيطانية .

٣ ـ نور الألباب .

٤ ـ ارشاد الأمة .

٥ ـ كتاب الفرق بين علم التوحيد وبين علم الكلام .

٦ ـ كتاب الفرق بين ولاية أهل الاسلام وبين ولاية أهل الكفر(٢)

٧ ـ مسائل مهمة .

٨ ـ تمييز أهل السنة .

٩ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

١٠ ـ تنبيه الغافلين .

---

(١) أنظر مقدمة الدكتور محمد الهبى لكتاب احياء السنة ص ١

(٢) وقد حققه هسكت وطبع ضمن مجلة معهد الدراسات الشرقية بلندن رقم ٢٣ ، ١٩٦٠

١١ ـ نصيحة أهل الزمان .

١٢ ـ تعلوم الاخــوان

١٣ ـ أصول الديــن

١٤ ـ تحقيق العصمة لجميع طبقات هذه الأمة .

١٥ ـ أصول العدل لولاة الأمر وأهل الفضل .

١٦ ـ السلاسل الذهبية .

١٧ ـ تحفة الحبيب .

١٨ ـ عقيدة العوام .

١٩ ـ ارشاد العباد الى أهم مسائل الجهاد

٢٠ ـ أمر الساعة

٢١ ـ شفاء العليل

٢٢ ـ علوم المعاملة

٢٣ ـ مرآت الطلاب

٢٤ ـ دعوة العباد الى كتاب الله .

هذا ويمكن تقسيم هذه المؤلفات حسب الأحوال والمراحل التى روعى أن تتدرج فيها الجماعة وفق توجيهاتها الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

ما يختص بمرحلة اعداد الجماعة ، حيث كانت الجهود تبذل فى اعداد وتكوين الجماعة بغرس مبادىء الدين والعقيدة الصحيحة فى قلوبهم ، حتى تخالط قلوبهم حلاوة الايمان . فكانت المؤلفات فى هذه المرحلة تتسم بالدعوة الى احياء السنة وترك البدعة ، والتزام جماعة المسلمين وعدم الاسراع فى تكفير بعضهم البعض .

القسم الثانى :

ما يختص بمرحلة اقناع الجماعة بأن ملوك بلاد الهوسا على الباطل لعدم تحكيمهم الشريعة ، وتمسكهم المستمر بالعادات والتقاليد الباطلة ، وان طريق الخلاص من كيدهم وسطوتهم لا يكون الا بالهجرة عن ديارهم واعلان الجهاد ضدهم دفاعا عن العقيدة وتثبيتا للاسلام ، ثم بتحذير اتباعه عن كل ما من شأنه أن يشغل الناس عن الهجرة ، كالتفكير فى أمر خروج المهدى المنتظر فى تلك المنطقة فى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى .

القسم الثالث :

ما يختص بمرحلة افهام الولاة واجباتهم نحو الاسلام والمسلمين وذلك بعد ما أنعم الله عليهم بالقضاء على الكفر والانتصار على ممالك الهوسا وأصبحت البلاد ديار الاسلام .

وغلب على الشيخ عثمان فى مؤلفاته عدة سمات نذكر منها ما يلى :

أولا :

انها على كثرتها وتنوعها تكاد تتسم بالتكامل الموضوعى بالنسبة للأهداف والمراحل التى تمثلها تلك المؤلفات . فهو لم يوجه كتاباته الى اتجاه فكرى واحد ، وانما يعالج فيها قضايا متعددة كالعقيدة ، والعبادات والمعاملات اذا رأى ذلك مناسبا للموقف وقد يفرد كلا من هذه المباحث بالتأليف المستقل ليكون أكثر وضوحا .

ثانيا :

انه يكثر التكرار وترديد المعنى الواحد أو الفكرة فى أكثر من مؤلف وذلك بأسلوب متقارب جدا ، وهذا يرجع الى ما كان يصادفه من الأحوال المتشابهة فى العديد من البلدان التى كان يزورها حين قيامه بالدعوة فكان يكرر الكتابة حسب مقتضيات الظروف .

ثالثا :

انه كان يكثر النقل من كتب الأئمة المتقدمين مما يدل على أنه قد اطلع على هذه الكتب واقتنع بما فيها وهو الى جانب ذلك أمين في نقله عنهم وفي نسبة القول الى صاحبه ، ولا يكاد يقرر مسألة من المسائل دون أن يأتي فيها بأقوال العلماء وتبرز شخصيته العلمية في مناقشة هذه الأقوال وأدلتها .

رابعا : انه يهتم بايراد الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على كل مسألة يقررها كما يهتم بتخريج الاحاديث في أغلب الأحيان ، وقد كانت دراسته الواسعة في علوم الحديث خير معين له على ذلك ، وكان لاستخدامه اللغة العربية في التأليف أثر كبير في نشر الثقافة العربية في تلك البقاع .

وأخيرا ، فان الشيخ عثمان بن فودى بهذا الجهد الكبير في التأليف انما يستجيب لحاجة مجتمعه الملحة لمعرفة حقائق الاسلام ولتصحيح المفاهيم الخاطئة وهذا على الرغم من اشتغاله بالدعوة ، والجهاد ـ فجزاه الله عن الاسلام خير الجزاء .

الفصل الخامس : دعوتـــه

كان ظهور الشيخ عثمان على مسرح التاريخ سنة (١١٨٨هـ - ١٧٧٤م) حين بلغ العشرين من عمره حيث بدأ الدعوة[١] وكان يجمع بينها وبين التدريس ، ومن عادته انه يدرس لتلاميذه العلوم الاسلامية المختلفة كأصول الدين ، والتفسير والحديث كل يوم وفى ليلة الجمعة من كل أسبوع يلقى الوعظ والارشاد على عامة الناس يشرح لهم حقيقة الاسلام ، ويدعوهم الى اتباع أوامر الله واجتناب منهياته .

لقد كان شديد الحرص فى هذه المرحلة على مجانبة الطبقـــة الحاكمة فى البلاد خوفا من أن يقطعوا عليه سبيل دعوته ، ويبددوا جهوده ، لذلك جعل اتصاله مقصورا على عامة الناس والتلاميذ ، وقد تهيأت له أسباب القبول بما من الله عليه من المواهب المتعددة ، يصفه محمد بلو فيقول (... ناصر الدين بمقاله وبيانه ، محيى الســـنة بأفعاله ، دائم الارشاد والهداية ، حجة الله على العالم ، متمسك بالكتاب والسنة ، سيد وقته ، وامام عصره وأعجوبة زمانه ذو النورين العلم والعمل "[٢]

---

(١) أنظر تزيين الورقات ص ٩ - ١٠

(٢) انفاق الميسور ص ٤١

وكان الشيخ ينطلق في دعوته عن اقتناع وايمان منه بوجوب ذلك عليه وهذا ما يقرره بقوله :

" انه يجب على كل عالم الا يسكت في هذه الأزمنة لأن البدع قد ظهرت وشاعت فيها .. ويجب أن يكون في كل مسجد ومحلة في البلد فقيه يعلم الناس دينهم ، وكذا في كل قرية ويجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج الى ما يجاور بلده من الناس ليعلمهم دينهم وفرائض شرعهم .. وكل قادر على تغيير المنكر في الناس لا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت ، بل يلزمه الخروج "(١)

وبعد مضى فترة طويلة على دعوته بين عشيرته ، قام برحلات لنشر الدعوة في مختلف النواحي من بلاد غوبر وما حولها ، وكانت أولى تلك الرحلات وأبعدها أثرا في سبيل الدعوة - رحلته الى مملكة كبى (Kebbi) التى أسفر عنها دخول عدد كبير من الأهالي في الاسلام ، فانتشرت أخباره في الآفاق وأخذت شوكته تقوى ، ثم عاد الى قريته .

---

(١) الشيخ عثمان بن فودى - احياء السنة واخماد البدعة ص ٢٣٧ - ٢٣٨

عاد الشيخ من رحلته المظفرة وقد ذاعت أخباره وكثر اتباعه ولما سمع بأمره ملك غوبر أرسل اليه يستحضره مع جملة من العلماء ،(ولما رأى ابن فودى أن لا بد من المسير اليه ليتم بذلك عمله وتقوى دعوته ، ويتحقق ما يدعو له أجاب دعوة الملك المسمى " باوا " (Bawa) ولما حضر بين يديه قام وشرح له الاسلام الصحيح وطلب اليه الرجوع الى احياء معالم الاسلام واقامة العدل بين الرعية وتطبيق الأحكام الشرعية فكان من توفيق الله أن اجابة الملك بالسمع والطاعة وأسند اليه الفتوى فى مجلسه ، فصار ابن فودى المرجع الوحيد للملك من بين أولئك العلماء فأخذ هؤلاء يحسدونه على هذا الشرف ويعيرونه فى اتصاله بهذا الملك وصاروا يرمونه بطلب الجاه وحب الرئاسة والرياء وينسبونه الى الهوى) .(١)

وتقول بعض المصادر أن الملك انما استحضره ليقوم بمهمة تربية أبنائه فى القصر .

يقول الدكتور على أبو بكر : " لقد بلغت شهرته فى البلاد الى أن قام بزيارته فى قريته الصغيرة أمير باوا (١٧٧٤-١٧٩٤م) عاهل

---

(١) الاسلام فى نيجيريا ص ١٠٥

المملكة التى تقع فيها قريته ، فطلب اليه أن ينتقل الى العاصمة القاضاوا (Alkalawa) ليقوم بمهمة تربية أبناء الأسرة المالكة ، ولم يتردد الشيخ عثمان فى انتهاز هذه الفرصة الذهبية لنشر الاسلام بين الطبقة الارستروقراطية) (١)

ومهما يكن من أمر فقد اتصل بالأمير بعد عودته من كبى ولم تشر المصادر الى مدة بقائه عند الأمير .

ثم توجه الشيخ عثمان الى بلاد زنفرى (Zamfara) التى يصفها أخوه عبد الله بن فودى بأنها " بلاد غلب على أهلها الجهل ، ولم يشم غالب أهلها رائحة الاسلام " (٢) وأقام فيها خمس سنين (١٢٠١هـ - ١٢٠٦ هـ) يدعو الى الله ، وصار الاتباع يتوافدون اليه للاستفادة من دروسه القيمة ودعوته الاصلاحية . ولما رأى الأمير أن شأن الشيخ عثمان قد عظم ، وأن اتباعه قد كثروا وصاروا يشكلون ثقلا اجتماعيا لا يستهان به خاف على عرشه ولجأ الى سياسة شراء الضمائر بالأموال والمغريات المادية لعله ينجح فى صرف الناس عن دعوته ، فدعا

---

(١) الثقافة العربية فى نيجيريا ، دار الفكر العربى ص ٧١ - ٧٢

(٢) عبد الله بن فودى : تزيين الورقات ص ١١

الأمير جميع علماء البلاد الى مجلسه يوم عيد الأضحى عام ١٢٠٢ هـ فقدم لكل حاضر منهم هدايا ثمينة وأموالا طائلة .(١) ففرحوا وأشادوا به مدحا وثناء ، وخلعوا عليه جميع أوصاف العدالة والاستقامة ، قبلوا هذه الهدايا شاكرين له جميل الصنع ، معجبين بسخائه الا ابن فودى الذى رفض نصيبه من العطايا ، وطلب من الأمير بدلا منها تحقيق الأمور التى تضمن له نجاح دعوته فى المملكة وهى : -

١ - أن يسمح له بالوعظ والارشاد فى بلاده .

٢ - ألا يمنع أحدا من قبول دعوته والانضمام اليه .

٣ - أن يعامل الرجال الذين يلبسون العمامة بالاحترام والتقدير .(٢)

٤ - أن يطلق سراح المعتقلين من أتباعه .(٣)

٥ - أن يخفف الضرائب على الرعية .

لم يسع الأمير ازاء هذا الموقف الذى لم يكن فى حسابه الا أن يطيل حبل الطلاينة ، فوافق على جميع هذه المطالب لأنه كان كبير

---

(١) نفس المرجع ص ١٥

(٢) لأن اتباعه اعتادوا لبس العمامة .

(٣) يبدو من هذا الطلب أن بعض اتباع الشيخ كانوا يتعرضون للاضطهاد والاعتقال فى مملكة غوبر ولم تذكر المصادر عدد المعتقلين قبل هذا الطلب .

السن - يبلغ من العمر خمسوسبعين سنة - ولأنه يدرك أنه لن يستطيع أن يمنع جماعة الشيخ عثمان من الاستمرار فى الدعوة .(١)

رجع الشيخ عثمان بهذه التسهيلات التى استطاع بموجبها أن يوسع نطاق نشاطه فى هذه البلاد وبهذا صارت الجماعة قوة دينية باعتراف السلطة الحاكمة .

وقد كان الأمير (باوا) حذرا من الاصطدام المسلح بجماعة الشيخ عثمان لأنه كان مشغولا بالحرب مع " كاتسينا " تلك المعركة التى هزمت فيها غوبر تحت قيادة يعقوب ، خليفة باوا ، وسقط قتيلا فيها . ولم يلبث أن توفى الأمير باوا وتولى ابنه نفتا (Nafata) مقاليد الحكم بعده .

وقد أظهر الملك الجديد العداوة والبغضاء للشيخ عثمان وجماعته والدين الذى يدعو اليه ، ومن الطبيعى أن تتدهور العلاقة القائمة بين الجماعة والسلطة بسبب ذلك . رأى الأمير نفاتا أن نفوذ الشيخ عثمان أوشك أن يفوق نفوذه فى مملكته ففكر فى التدابير الصارمة الذى يمكن اتخاذها ضد خطر انتشار الاسلام المتمثل فى حركة الشيخ عثمان ،

1- Last, D.M op.cit Page 7

والذى أصبح يهدد عرشه ، فأمر بسحب جميع التسهيلات التى منحت للشيخ فى مملكة غوبر فى عهد سلفه الأمير باوا . فصدر أوامره بمنع جميع اتباع الشيخ عثمان من عقد مجالس الدعوة والارشاد ، وجعل ذلك مقصورا على الشيخ وحده كما منع دخول الناس فى الاسلام الا من كان قد ورث الاسلام عن آبائه وأجداده ومن لم يرث عنهم الاسلام فعليه أن يعود الى ما كان عليه آباؤه وأجداده ، كما منع لبس العمامة للرجال وضرب النساء خمرهن على جيوبهن . (١)

يظهر من هذا التصرف العدوانى أن الأمير نفاتا أراد شل حركة الجماعة كقوة دينية وسياسية ، لأنه بدلا أن تنتشر دعوة الشيخ عثمان فى الآفاق بانتشار تلاميذه فان الحركة ستكون مقصورة على جهود الشيخ عثمان الفردى فى قريته الصغيرة . بما أن أتباع الشيخ قد اتخذوا العمامة زيا يتميزون به ، ونسائهم المسلمات اتخذن الحجاب فصار لهن شخصيتهن المتميزة عن سائر النساء ، أراد نفاتا بقراره هذا محو هذه الخصائص الدينية وازالتها عن الوجود فى المجتمع كما أراد أن يضع حدا لدخول الناس فى الدين الحنيف لعله يفلح فى أضعاف

---

(١) انفاق الميسور ص ٦٧ ، تزيين الورقات ص ٤٧ - ٤٨

معنوية الشيخ عثمان فيتخلى عن دعوته وقد أوشكت أن تؤتي ثمارها .

تلقى الشيخ عثمان هذه الأوامر بفائق الصبر ، ولم يلجأ الى اتخاذ أى اجراءات عدوانية ازاء هذا الموقف الذى قلما يصبر عليه أصحاب الدعوات ، ولكن الله كفاه شر هذا الأمير حيث سلط عليه أعداء من داخل بلاده وخارجها ، ولم يتمكن من القضاء عليهم قبل أن يقضى نحبه عام ١٨٠٢ م ثم تولى ابنه ينفا (Yunfa) مقاليد الحكم بعده .

أما الأمير الجديد ، فكان قاسى القلب شديد الوطأة على المسلمين وقد ورث من أبيه كراهية للشيخ عثمان بخاصة ولدعوته وأتباعه بعامة لأن قرارات أبيه الأخيرة لم تحقق الأهداف المرجوة منها ، ولم تزل دعوة الشيخ تغزو القلوب وتكسب مزيدا من الاتباع ، (١) فلم يلبث بعد توليه الحكم أن أرسل الى أمراء بلاد الهوسا وبرنو يستنجدهم على خطر ما يدعو اليه ابن فودى قائلا بأنه يريد أن يستولى على الممالك باسم الدين ، فاستمالهم اليه وتألبوا على الشيخ عثمان وأخذوا فى

---

(١) وتذكر بعض المصادر أن الأمير ينفا دبر مؤامرة لاغتيال الشيخ عثمان ولكنه فشل فى ذلك .

أنظر : Last, D.M op.cit Page 14

اعداد العدة من كل ناحية ، فأرسل اليهم الشيخ عثمان مبينا لهم حقيقة الأمر ودعاهم الى التعاون على البر والتقوى ، ولكن أكثرهم لم يستجيبوا لذلك . " فأخذ كل ملك من ملوك هوسا يضطهد كل من بناحيته من أعوان الشيخ من الهوساويين والفلانيين ، بل يقتلون من قدروا عليه ، فجعل هؤلاء يشكون بثهم وحزنهم الى الله ، ثم يستنجدون بالشيخ ، فكتب الشيخ الى جميع أنصاره واتباعه في كل بلده وفي كل مدينة من بلاد هوسا ومدنها أن يستعدوا للدفاع عن أنفسهم ويستعينوا بالله على أعدائهم لينصرهم الله عليهم " (١) .

خاف بعض المسلمين من سوء تصرف ملوك غوبر ، فخرجوا بدينهم الى أطراف البلاد وعلى رأسهم رجل من كبار تلاميذ الشيخ عثمان يدعى عبد السلام ، فاعتبره الأمير ينفا محاولة للخروج عن طاعته فأرسل كتيبة من جيشه هاجمت غمبانا (٢) على غفلة من أهلها في نهار رمضان ، فأعملت فيهم السيف قتلا وتشريدا وأخذت الذين لم يقتلوا من أهلها أسرى وتفرق من بقي منهم في البلاد (٣) ثم صار الأمير يهدد سائر المسلمين بمثل ذلك ويتوعدهم بأشد العقاب .

---

(١) الاسلام في نيجيريا ص ١١١

(٢) القرية التي خرجوا اليها

(٣) تزيين الورقات ص ٤٩

وقد مرت هذه الكتيبة فى طريق عودتها الى غوبر بقرية الشيخ عثمان فهب بعض اتباع الشيخ وهاجموا الكتيبة وأطلقوا الأسرى .

فاتسعت دائرة الخلاف بينه وبين الشيخ وتوالت بعد ذلك محاولات الأمير على فض هذه الجموع فأرسل الأمير الى الشيخ عثمان أن يترك قرينه (دغل) بأهله واخوانه دون جماعته (١) وهدفه من ذلك تشتيت شمل الجماعة ليسهل الهجوم عليهم ، فأبى عليه الشيخ الا أن يهاجر هو ومن شاء من جماعته قائلا : " انى لا أفارق جماعتى ولكن أفارق بلادك وأرض الله واسعة " (٢) .

ذكر الشيخ عثمان لجماعته هذا الذى عزم عليه فعزم الجميع على الخروج مع شيخهم . فأدرك الأمير خطورة الأمر فأظهر الندامة للشيخ فيما صدر منه ، وطلب من الشيخ ترك الهجرة وملازمة مكانه مع أن قرائن الأحوال تشير الى عدم صدقه فيما أظهره من الندامة ، فاعتذر له الشيخ عثمان وهاجر ومن معه من الجماعة الى غدو (Gudu) على الحدود الغربية لمملكة غوبر وذلك فى اليوم العاشر من شهر ذى القعدة سنة ١٢١٨ هـ الموافق للحادى والعشرين من فبراير ١٨٠٤م وكانت نقطة تحول هامة فى دعوة الشيخ الاصلاحية .

---

(١) انفاق الميسور ص ٦٧

(٢) تزيين الورقات ص ٥٠

الفصل السادس : هجرته وجهاده فى سبيل الدعوة :

تعتبر هجرة الشيخ عثمان وجماعته من (دغل) الى (غودو)
نهاية العلاقات السلمية مع ملوك غوبر ، وابتدائا بالصراع المسلح الذى
انتهى بقلب نظام الحكم القائم فى ممالك هوسا . وكانت الهجرة فى
مفهوم الشيخ وتقديره امتدادا للدعوة التى يقوم بها وتحصينا لمستقبلها ،
وهذه الفكرة ظاهرة فيما سجله فى كتابه " مسائل مهمة "(١) الذى ألف
قبل هجرته بسنة اذ يقول فيه : " الهجرة من بلاد الكفار الى بلد
الاسلام ومن بلد البدعة الى بلد السنة ومن بلد المعصية الى بلد
الطاعة ومن موضع لا يتمكن المسلم فيه من اقامة دينه ، وان على المسلمين
عزل الحاكم الكافر اذا قدروا عليه فان تحققوا العجز عنه لم يجب القيام
عليه ، ويجب على المسلم الهجرة من أرضه الى غيرها وان الفرار من
ظهرانى المشركين واجب على كل مسلم ، وكذلك كل موضع يخاف منه ،
فالهجرة عنه واجبة الى أرض الله الواسعة ، ويجب على كل مسلم
الهروب اذا خاف على نفسه ودينه وماله الى موضع لا يخاف شيئا من ذلك"

---

(١) رسالة صغيرة مخطوطة أنظر ص ٣٢ من هذه الرسالة .

فالفكرة تتلخص في وجوب الهجرة من بلاد الهوسا لأنها بلاد كفر لا يأمن المسلمون فيها على دينهم وأنفسهم .

فبدأ اتباعه يتوافدون عليه في مهجره فازداد قوة فأوجس الأمر منهم خيفة فبدأ بملاحقة المهاجرين وقطع الطريق عليهم ونهب أموالهم . ويصور لنا محمد بلو بن الشيخ عثمان الموقف فيقول : (لما علمنا بالضرورة انقطاع حبال الأمانة بيننا وبينهم ، وقد عاونهم على عداوتنا جميع من كان على شاكلتهم من السودانيين والتوارك ، ولم يبق لنا ملاذ وملجأ من ملوك هذه البلاد لتضافرهم على عداوتنا وتعاونهم على ذلك رغبة منهم لاستيصالنا ، اجتمعنا وتشاورنا في أمرنا وقلنا أنه لا يتأتى للناس أن يكونوا هملا من غير وال ، فبايعنا الشيخ على السمع والطاعة في المنشط والمكره ، فبايع هو على الكتاب والسنة "(١) ونودى به أميرا للمؤمنين ، ثم شرع في توزيع مهام الادارة تمهيدا لتأسيس الدولة ، فاختار أخاه عبد الله وزيره الأول ، وصديقه عمر الكموى وزيره الثاني ، وصديقه محمد ثنبو ابن عبد الرحمن امامهم في الصلاة وقاضيهم في الخصومات ، وجعل محمد بن الحسن الملقب سعدار صاحب اللواء وقائد الجيوش .(٢)

---

(١) انفاق الميسور ص٧٠ ، تزيين الورقات ص٥٠

(٢) الاسلام في نيجيريا ص ١١٠

وضع المهاجرون فى حسابهم أن الأمير ينفا قد يباغتهم بالهجوم كعادته فحفروا خندقا يحيط بمهجرهم . ولما بدأ الأمير بتجريد الحملات العسكرية ضد الجماعة فى مهجرهم تصدوا له بالشجاعة وقوة الايمان وهم قلة فى العدد والعدة ، ودارت بينهما معارك ضارية وقد حققوا فى أول المعركة نصرا مبينا رفع الروح المعنوية عندهم .

ثم عقد الشيخ أربعة عشر لواء[1] بعث بها الى ممالك الهوسا السبعة وما تتبعها من الامارات ، ودارت رحا الحرب ، وانتهت المعارك فى كثير من جبهاتها الى انتصار جيوش الشيخ عثمان ، وسقطت تلك الممالك واحدة تلو الأخرى ، ودانت السلطة فى هذه البلاد للشيخ عثمان وهى ما تعرف اليوم بشمال نيجيريا . وقد سجل

---

(١) وقد بعث عمر دلاج الى كاتسينا ، ومالم موسى الى زاريا ، وسليمان الى كانو ، ومود بو آدم الى أدماوا ، وأتو بايرو الى غونبى ، ويعقوب الى باوتشى ، ومالم دندو الى نوبى ، ودان نونكو الى كداورى ، واسحاق الى داورا ، ومالم تنبو الى خطيجه ، ومحمد منغا الى ميساع ، وابراهيم زكى الى كتاغم والماهر مختار الى برنو ومحمد بن جنتا المشهور بلقب " عالم " الى الورن . أنظر الاسلام فى نيجيريا ص ١١٥ - ١٢٢

Hogben, S.J 'Mohammedan Emirates of Northern Nigeria Page 202

Last, D.M op.cit Page 54

كل من عبد الله بن فودى ومحمد بلو بن الشيخ عثمان وقائع المعارك التى ظلت تجتاح بلاد الهوسا فى فترة ما بين (١٨٠٤م - ١٨١٠م) (١٢١٩هـ - ١٢٢٥ هـ) بشئ من التفاصيل .

وفى عام ١٨١٠م تم للشيخ عثمان السيطرة على المناطق المهمة (١) التى منها تكونت امبراطورية الفولانية الاسلامية ثم انحاز الشيخ بعد هذه الانتصارات الباهرة الى قرية سيفاوا (Sifawa) ثم منها الى سكوتو (Sokoto) وخصص ما تبقى من عمره للارشاد والتأليف، وفى سنة ١٨١٢ م (١٢٢٧ هـ) قسم البلاد المفتوحة قسمين ، القسم الشرقى وعاصمته غواندو (Gwandu) وأمر عليها أخاه عبد الله بن فودى والقسم الغربى وعاصمته سكوتو (Sokoto) وأمر عليها ابنه محمد بلو .

وفى شهر جمادى الآخرة ١٢٣٢ هـ الموافق ١٨١٧م توفى الشيخ عثمان بن فودى رحمه الله رحمة واسعة بعد هذه الحياة الحافلة بالدعوة والجهاد واقامة الدولة وله من العمر ثلاثة وستون سنة .

---

(١) لقد استطاعت برنو تحت قيادة زعيمها الدينى الكانمى أن تضع حدا لزحف الجيش الفلانى وقد أصدر أوامره الى حكام المقاطعات المتاخمة لبلاد الهوسا باعداد العدة للدفاع عن ملوك الهوسا فاعتبره الشيخ مرتدا لمناصرته الكفار ضد المسلمين فقام الجيش الفولانى بمهاجمة امارات برنو تحت قيادة الماهر محتار وأنزل بها هزيمة نكراء .

وبعد ... فان الاصلاح الديني الذى قام به الفلانيون في شمال نيجيريا والدولة التى أنشأوها على أساس الشريعة ظلت قائمة عاملة على نشر الاسلام حوالى قرن من الزمن ، وقد رأينا كيف تطورت حركته حتى اكتسحت جميع ممالك الهوسا وجاوزها الى مملكة برنو وبعض أطراف بلاد يوربا كما أشرنا الى الظروف التى أدت الى اشهار السلاح ضد الملوك الكفره ، ولا خلاف فى أن هذه الحركة دينية فى جوهرها واصلاحية فى صميمها وهى مع ذلك تجربة رائدة فى هذه المنطقة ، فقد اقتفى أثرها كثير من الحركات الاصلاحية فى المناطق المجاورة ، ففى ماسينا (Masina) استطاع الشيخ أحمد سيكو أن يؤسس حكومة اسلامية على انقاض الدولة الوثنية فى فوتاجالون سنة ١٨١٠ م وكذلك الحاج عمر بن سعيد تال ، الذى قاد جيوشه المظفرة للقضاء على قبائل التكلور الوثنية فى فوتاتور ثم أقام حكومة اسلامية سنة ١٨٥٤م ، ومن أهم خصائص حركة الجهاد فى سكوتو أنها قامت على أيد أفراد كان لهم حظ وافر من العلم والمعرفة فزعماؤها كانوا أصحاب سيف وقلم معا لقد خلقوا تراثا علميا ضخما شمل كثيرا من العلوم الاسلامية ، كما نجحوا فى تحويل ممالك الهوسا الى كتلة واحدة متماسكة ، وأحلوا رابطة الأخوة الاسلامية

محل الحمية الجاهلية والحروب الأهلية الطاحنة التى كانت تدور بينها بالاستمرار .

وخاتمة القول أنهم نجحوا فى تغيير المجتمع تغييرا جذريـــا وفتحوا له صفحة جديدة فى التاريخ ولا شك أن خلفاء الشيخ عثمان قد أظهروا مقدرة فائقة فى ادارة البلاد بعد وفاته ونشروا لواء الأمن والعدل فيها ، ومع مرور الزمن أخذ نفوذ الأمراء يضعف ، وتطـرق الفساد الى كيان الدولة فلم يعد الأمراء رجال زهد وتقشف كما كان أسلافهم ، بل انغمسوا فى الترف ، وتملكهم الطمع وأغفلوا تعالـــيم الشيخ عثمان وكان من أثر ذلك أن خرج كثير من الوثنيين عن طاعتهم، واضمحل ملكهم فى الوقت الذى بدأ فيه الانكليز يدخلون البلاد فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، ولم تكن الدولة لتصمد طويلا أمام الحملات المكثفة التى جردها الانكليز للقضاء على البقية الباقيـة من أثر حركة ابن فودى الاصلاحية .

ولا أدل على هذا العدوان المكشوف ضد الاسلام وأهله مـن قول الحاكم البريطانى ـ اللورد لوغارد ـ بعد سقوط آخر مدينة فـــى الدولة الاسلامية على يد جيش الاحتلال عام ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣م قـال : " لقد سيطر الفلانيون بقيادة عثمان بن فودى على هـــذه

البلاد منذ زمن بعيد ، فاستولوا بذلك على زمام الأمور فى حكم هذه البلاد ، ووضع الضرائب وعين الأمراء وخلع آخرين وقد ضاعت هذه السلطة من أيديهم اليوم بسبب هزيمتهم النكراء أمام جيوش بريطانيا فانتقلت السلطة العليا بذلك الى أيدى الحكومة البريطانية ، وكل ما ذكرت أن الفلانيين كانوا يقومون به بسبب استيلاءهم على هذه البلاد قد أصبح اليوم من حق الحكومة البريطانية ".(١)

هذا ، ولم تسلم هذه الجهود الجبارة التى بذلها ابن فودى فى سبيل الدعوة الاسلامية من تشويه بعض الباحثين ، وقد ذكر (هوغبن) ما نصه : (ان الفلان اتخذوا الدين وسيلة لنيل عرض الدنيا ، واستغلوه للتنكيل بأمراء الهوسا الذين كانوا يضطهدونهم وينكرون عليهم حقوقهم " ويزعم " ان الجهاد حركة قومية لقبائل الفلان - مسلمين ووثنيين - موجهة ضد قبائل الهوسا وكبيرهم الأمير (ينفا) أمير غوبر الذى قرر القضاء عليهم ، وبعد انتهاء الجهاد عاد الفلاحون الى حياة المراعى على حين أن العلماء وزعماء الفلان - وعلى رأسهم

1- Adeleye,R.A '<u>Power and Diplomacy in Northern Nigeria</u>' London,1974

نقلا عن التقرير السنوى الذى بعث به الحاكم لوغارد الى مكتب المستعمرات بلندن ص ١٦٣ - ١٦٤ .

الشيخ عثمان بن فودى ـ استغلوا الدين لطرد الحكام القدامى ، واقتسام مناصبهم (١)

ان هذا الرأى لا يمثل الا وجهة النظر الاستعمارية ولا يستند على أى دليل صحيح بل يكذبه الواقع التاريخى للجهاد ، فان حركة الشيخ عثمان كما نعلم كانت محاولة صادقة للاصلاح ، واحياء ما اندرس من معالم الدين ، وطالما نعى ابن فودى سوء الأحوال الدينيـــة فى البلاد الأمر الذى حرك حفيظته للقيام بالجهاد ثم ان جميع شعب الفلانى فى بلاد الهوسا لم يشتركوا فى الجهاد مع الشيخ عثمان ، وقد حارب بعضهم فى صفوف أمراء الهوسا على حين وقف آخرون موقفا محايدا (وكثير من سكان البلاد الذين رأوا فى الجهاد اعلاء لشأن الدين انضموا لحركة الجهاد ضد بنى جلدتهم سواء أكانوا من الفلان أم من الهوسا) (٢)

1- Hogben, S.G 'Mohammedan Emirates of Nigeria' Page 110

2- Burns, Sir Alan 'History of Nigeria' أنظر
8th Edition, London 1972 Page 47

الباب الثاني

آراؤه الاعتقادية على ضوء الكتاب والسنة

التمهيد :

كانت لابن فودى نظرته الخاصة فى فهم الدين الاسلامى ، ووظيفته فى النهوض بالمسلمين من الكبوة التى وقعوا فيها بسبب الانحراف عن الصراط المستقيم ويرى أن ما حل بالاسلام والمسلمين فى هذه البلاد انما كان فى غيبة العقيدة الصحيحة والتوجيه السليم فالبلاد تموج بالمعتقدات الباطلة والخرافات المتأصلة وليس للمسلمين شخصيتهم المتميزة ، لذلك جعل حلقات دروسه منبرا للنداء الى ضرورة العودة بالاسلام الى منابعه الصافية ، بعيدا عن مكان البدعة والخرافات . واذا تفحصنا مضمون تراثه الذى بين أيدينا ، فاننا نجده قد تناول جملة من القضايا الفكرية الهامة التى شغلت الفكر الاسلامى قديما وحديثا . ويمكن اجمالها فى الأمور التالية : -

١ - الالهيات : وتشمل قضية اثبات وجود الله ، واثبات صفاته العليا ، ورؤية المؤمنين له عيانا يوم القيامة .

٢ - النبوات : وتشمل الصفات الواجبة للرسل عليهم الصلاة والسلام ، وبيان المعجزات التى تدل على صدقهم .

٣ - السمعيات : وتشمل اثبات عذاب القبر ونعيمه ، وبيان اشراط والميزان .

هذا بالاضافة الى عديد من الموضوعات الأخرى كالامامة ، والبدعة ، والتوسل ، وحكم الاشتغال بعلم الكلام ونحو ذلك . وفيما يلي من الفصول استعرض آرائه ثم أقارنها بأقوال السلف .

الفصل الأول : الالهيات

المبحث الأول : منهج ابن فودى في اثبات وجود الله .

ان القول بوجود الصانع الخبير لهذا الكون الفسيح لحقيقة ثابتة ، لا تقبل الانكار عند من له عقل سليم وتخلى عن العناد ، لذلك كان الايمان بالله ركنا أساسيا فى الاسلام فاذا كان الله سبحانه وتعالى قد أخبر عن نفسه بقوله " انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى " (١) واتفقت الرسالات السماوية على اثبات هذه الحقيقة ، وأجمعت المخلوقات على اختلاف أنواعها وأشكالها على الشهادة بوجود الله الخالق الرازق ، وحكم العقل البشرى الناضج باستحالة وجود المصنوعات بلا صانع - فما كان كذلك فلا ينكره الا مكابر، استحوذ عليه الشيطان وأضله سواء السبيل .

غير أن هذه الحقيقة على الرغم من وضوحها وبساطتها ، قد انقلبت فى خيال كثير من الناس الى مجرد نظرية تحتمل القبول والرد مما يدل على فساد بعض الفطر كما يقول شيخ الاسلام أحمد بن تيمية :

---

(١) سورة طه : ١٤

(الاقرار بالخالق وكماله يكون فطريا فى حق من سلمت فطرته ، وان كان مع ذلك قد تقوم عليه الأدلة الكثيرة ، وقد يحتاج الى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها)[1] لذلك اضطر بعض العلماء الى تركيب الأدلة لتصحيح عقيدة العوام واقامة الحجة على المنكرين المتمردين على الفطرة السليمة .

ولننتقل بعد هذا الى ذكر الطرق التى ارتضاها الشيخ عثمان للوصول الى معرفة الله عز وجل ، وقد جعلها خمسة[2] :

أ ـ طريق الفطرة .

ب ـ طريق الضرر .

جـ ـ طريق الشهادة .

د ـ طريق النظر .

هـ ـ طريق التواتر .

---

(١) شيخ الاسلام أحمد بن تيمية : مجموع الفتاوى ، مطابع الرياض ، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ ٦ / ٧٣

(٢) أنظر الشيخ عثمان بن فودى : شمس الاخوان فى أصول الأديان (مخطوط) ص ١٥ وما بعدها .

فهذه الطرق متقاربة من حيث المدلول ، لذلك نجده لـم يطنب كثيرا فى بيانها ، وانما اكتفى بذكرها ونقل أقوال العلماء ليساندها ، كما نلاحظ أنه لم يستخدم تلك الاصطلاحات الملتوية التى جرت عادة العلماء الذين يتناولون مثل هذا الموضوع أن يستخدموها [١] ولا شك أنه قد راعى فى ذلك ظروف العوام الذين كانوا هم هدفه الأول فى مؤلفاته .

أ ـ طريق الفطـرة

يرى الشيخ عثمان أن الشعور بوجود الله الخالق مركوز فى الفطرة البشرية ، ويستوى فى الاحساس به جميع الناس على مختلف أجناسهم وطبقاتهم ويقرر أن الأدلة من القرآن والسنة واجماع المسلمين تتفـق على صحة هذا الرأى فيقول :

(اعلموا يا اخوانى أن الله تعالى قد بين فى كتابه العزيز أنه معروف بالفطرة الغريزية فى آيات كثيرة منها :

قوله تعالى : " ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ... " [٢]

---

(١) كالمتكلمين الذين استدلوا على وجود الصانع بحدوث الجواهـر وامكانها وحدوث الاعراض وامكانها ورتبوا على ذلك مقدمات ونتائج (أنظر شرح المواقف فى علم الكلام للجرجانى تحقيق د . أحمد المهدى ص ٥ - ٧)

(٢) سورة الزخرف : ٨٧

ومنها قوله " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم " (١).

ومنها قوله " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله " (٢)

ويبين النبي صلى الله عليه وسلم أيضا في سنته أنه تعالى معروف بالفطرة - كما جاء في الصحيح - " كل مولود يولد على الفطرة " (٣) وقد انعقد اجماع أهل السنة على صحة عقيدة العوام بالفطرة الاسلامية (٤)

ثم يسوق أقوال العلماء للدلالة على رأيه وينقل عن الامام الغزالي (٥) قوله في الاحياء (لهذا بعث الأنبياء لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله ، وما أمروا أن يقولوا لنا اله ، وللعالم اله .

---

(١) سورة الزخرف : ٩

(٢) سورة العنكبوت : ٦١

(٣) رواه مسلم في كتاب القدر

(٤) الشيخ عثمان بن فودى - تنبيه الطلبة على أن الله معروف بالفطرة (مخطوط) ص ١ - ٢

(٥) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي ، الفقيه ، الشافعي ، الأصولي ، ولد سنة خمسين واربعمائة وتوفي سنة خمس وخمسمائة بالطابران ، وله من المصنفات الجليلة منها الوسيط والبسيط ، واحياء علوم الدين ، والمستصفى (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي ص ١١٨ الاعلام للزركلي ٧/٢٤٧)

فان ذلك مجبولا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم لذلك قال عز وجل " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله " (١)

وقال تعالى " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ..." (٢) فاذا في فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن اقامة البرهان) (٣)

كما أنه يستدل بقول عبد الوهاب الشعراني :

(ان الله خلق الروح كاملا عارفا بتوحيد الله تعالى مقرا بربوبيته ، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها المشار اليها بخبر كل مولـود يولد على الفطرة) (٤) فثبت بذلك أن الفطرة تشهد بحاجة الناس جميعا الى اله معبود بالحق ، وانما كفر من كفر بزيادة اله آخر من المخلوقات .

يتضح لنا مما مضى أن الشيخ عثمان انما أورد هذه الأدلـة والأقوال ليبين أن الفطرة من أهم مصادر معرفة الانسان بربـه واقراره بوجوده وقد أشار القرآن اليها فلو تركت الفطرة على صفائهـا ولم تدنسها البيئة الفاسدة ، أو تتحكم فيها الاهواء فانها تهتدي الى

---

(١) سورة الزخرف : ٨٧

(٢) سورة الروم : ٣٠

(٣) ابو حامد الغزالي ـ احياء علوم الدين ، دار المعرفة للطباعة والنشر ببروت جـ ١ ص ١٠٥ - ١٠٦

(٤) تنبيه الطلبة (مخطوط) ص ٦

الاعتراف بوجود الخالق . وقد أدرك الاعرابى بسلامة فطرته وجـود الصانع اذ يقول " البعرة تدل على البعير ، وأثر الأقدام يدل على المسير ، ليل داج ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج أفلا تدل علـى الصانع الخبير " (١)

فالفطرة بلا شك من أقوى الأدلة وأوضحها على المقصود ، وقد أشار اليها العلماء قبل ابن فودى ، يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله (معلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجـــود النهار ، ومن لم ير ذلك فى عقله وفطرته فليتهمهما) (٢)

فما أثبته ابن فودى هنا يعتمد على النصوص الشرعية ، وقد وافق أقوال العلماء الأفاضل ، وهو الأصل الذى ينشأ عليه كـــل انسان فما لم تكن الفطرة فى الانسان شاذة أو مريضة فانها تهتدى الى الاقرار بوجود الله لا محالة .

---

(١) أنظر أحمد الهاشمى - جواهر الأدب جـ ٢ ص ١٩

(٢) ابن قيم الجوزية - مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين جـ ١ ص ٦٠

ب ـ طريق الضرر

وأما الطريق الثاني الذى استدل به ابن فودى على معرفة الله تعالى فهو طريق الضرر ، فانه يرى أن الانسان قد يغفل عن الشعور بتلك الفطرة لأمر طارئ عليه ، أو بسبب استغراقه في الملذات والشهوات ، فاذا ألمت به المصائب ، وتقطعت عنه الأسباب وضاقت به المسالك فعند ذلك يتجلى ذلك الاحساس الفطرى الأصيل ، فلا يتوجه في تلك الحالة الا الى من يعتقد أنه خلقه وهو القادر على انقاذه والأخذ بيده ، فتبين أن الشعور بوجود الله لا يفارقه ، وأنه اذا طغت الأوهام والضلال على الفطرة تختفى معالم الفطرة بسبب هذه المؤثرات الخارجية ولكنها تعود الى الظهور في حالات الشدة والخوف ، يقول الشيخ عثمان (وأما الضرر فقد قال الله تعالى :

" واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين .. "(١)

ثم استدل يقول عبد الوهاب الشعرانى " فان قيل فما الدليل على أن معرفة الحق تعالى واجبة ؟ فالجواب أن دليل ذلك كون المعرفة من الأمور التى يسهل الوصول اليها فان الانسان اذا اضطر وضاقت به المسالك فلابد أن يستند الى الله يتأله اليه ويتضرع نحوه ويلجأ اليه

---

(١) سورة لقمان آية ٣٢

فى كشف بلواه ويسمو قلبه ويصعد الى السماء ويشخص نظره اليها من حيث كونها قبلة دعاء الخلائق أجمعين فيستغيث بخالقه وبارئه طبعا أو جبلة لا تكلفا وحيلة ... ولكن أكثر الناس قد ذهلوا عن ذلك فى حالة السراء وانما يرجعون اليه فى الضراء) (١) .

جـ ـ طريق الشهادة

وأما طريق المشاهدة فقد قال الله تعالى : " واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) (٢)

يرى الشيخ عثمان ان الله سبحانه وتعالى لما مسح صلب آدم عليه السلام استخرج منه جميع أولاده الذين هو خالقهم الى يوم القيامة ثم استنطقهم فأخذ منهم الميثاق بأنه ربهم فأقروا وشهدوا على أنفسهم بذلك ولم يجحده أحد منهم ، فدل ذلك على أن هذه الشهادة من طرق المعرفة ، وقد اشترك فيها كل آدمى ولذلك نجد أن كل واحد من بنى آدم يقر بوجود الخالق ويعترف به ، وأما ما يظهر على بعض الناس من الالحاد والكفر فانما هو انحراف عن الطبيعة البشرية كما أسلفنا .

(١) شمس الاخوان (مخطوط) ص ٢٢ - ٢٩ أنظر اليواقيت والجواهر جـ ١ ص ٤١ - ٤٢

(٢) سورة الاعراف ١٧٢

د ـ طريق النظر

وأما النظر فهو التفكير والتأمل فى مظاهر الكون والوقوف على ما تضمنته من الدقة والابداع ، فاذا نظر الانسان الى هذه المخلوقات ظهر له من العجائب ما يجعله يقر بأنه لا يمكن أن يكون وجودها ذاتيا أو يكون وليدة الصدفة ، بل لابد له من خالق يخضع لعظمته جميع الكائنات ، وهذا من قبيل الاستدلال بالصنعة على وجود الصانع . يقول الشيخ عثمان[1] : (وأما النظر فقد قال الله تعالى : أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب"[2] كما استدل أيضا بقوله تعالى :

" ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)[3]

ففى هذه الآيات دعوة الى النظر فى عدد من المظاهر الكونية :

---

(١) شمس الاخوان (مخطوط) ص ٢٢ ، أنظر تبصرة المهتدى فى أصول الدين ص ١٥

(٢) سورة ق آية ٦ – ٨

(٣) سورة البقرة ١٦٤

أ ـ النظر الى السماء كيف رفعها الله سبحانه وتعالى بلا عمد ، ثم زينها بالنجوم والكواكب كل ذلك بدقة غير متناهية .

ب ـ النظر الى الأرض كيف جعلها الله مبسوطة ، ثم ألقى فيها الجبال الشاهقات لئلا تضطرب بأهلها .

جـ ـ النظر الى تعاقب الليل والنهار بنظام محكم ، حيث يأتى الليل فى موعده فيعقبه النهار وينسلخ النهار فيأتى الليل وهكذا بالتناوب .

د ـ النظر الى السفن الجاريات فى عرض البحر وهى مثقلة بما ينفع الناس من البضائع .

وهكذا فلا يملك الانسان بعد النظر فى نظام الكون الا أن يسلم بوجود الاله الخالق ، وهى حقيقة طالما عبر عنها العلماء بدليل الاختراع والعناية ، أما كونه اختراع فلأن الله خلق هذه المخلوقات من العدم وأمر بالنظر اليها والتفكير فيها للاهتداء الى وجود صانعها ، وأما كونه دليل العناية فلأن الله سخر هذه المخلوقات بمختلف أنواعها للناس ليبين لهم حسن لطفه ودوام عنايته بهم لعلهم يحكمون عقولهم فيتوصلون الى أن وجودها بهذا التناسق التام صادر عنه جل شأنه .

---

(١) سورة ق آية ٦ ـ ٨

(٢) سورة البقرة ١٦٤

هـ ـ طريق التواتر

يرى الشيخ عثمان أن التواتر يفيد العلم الضروري بوجود الله لمن نشأ في ديار الاسلام وعرف أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ، وما أتى به من المعجزات الباهرات، ويسوق الأدلة على ذلك فيقول :

(وأما التواتر فقد قال الله تعالى : قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ... "(١) قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ... "(٢))(٣) .

فالاقرار لله بالربوبية سائد في جميع ديار الاسلام ومن عاش في هذه الديار عرف بالضرورة أن الرزق ، والاحياء ، والاماته ، وتدبير شئون الكون كل ذلك من الله سبحانه وتعالى وان ملك السموات والأرض وما فيهما لله عز وجل ولا يحتاج الناس في هذه الديار الى من يعرفهم بذلك لأنه متواتر ، وهذا التواتر هو الذي أشار اليه ابن فودي بقوله :

---

(١) سورة يونس: ٣١

(٢) سورة المؤمنون : ٨٤

(٣) شمس الاخوان ص ٢٠

(وهذا العلم الضرورى الذى أستفيد من التواتر حاصل للعوام الذين خالطوا المسلمين ومن حصل له العلم بالتواتر ليس بمقلد بلا خلاف وهو كالذى حصل له العلم بالنظر)(١)

ثم يؤيد هذا الرأى بما قاله اللقانى فى شرح جوهرة التوحيد .

(ومحل الخلاف فى غير النظر الموصل لمعرفة الله تعالى ،أما هو (أى النظر الموصل الى معرفة الله) فواجب اجماعا كما أن الخلاف انما هو فيمن نشأ على شاهق جبل مثلا ولم يتفكر فى ملكوت السموات والأرض فأخبره غير معصوم بما يفترض عليه اعتقاده فصدقه فيما أخبر به بمجرد اخباره من غير تفكر وتدبر ، وليس الخلاف فيمن نشأ فى ديار الاسلام من الأمصار والقرى والصحارى وتواتر عنده حال النبى صلى الله عليه وسلم وما أتى به من المعجزة)(٢)

من هذه النصوص يتضح لنا أن ابن فودى رحمه الله يرى ضرورة الاستدلال على وجود الله عز وجل وان كان للقضية وجوه أخرى ترجع الى

---

(١) تبصرة المبتدىء فى أصول الدين ص ١٦ - ١٧

(٢) شرح جوهرة التوحيد ص ٣٨

الفطرة . فالطرق الخمسة التى سلكها لاثبات الصانع منها ما يكفى لاقناع المرء فى نفسه لأنه يحس بذلك فى قرارة نفسه ولكنه لا يستطيع أن يلزم به المعاند المنكر ، اذ فى وسع هذا المعاند أن يقول له " أنا لا أشعر بما تشعر به " فلا يجد صاحب دليل الفطرة حجة يلزمه بها . ومع ذلك فان طريقة الفطرة تعد طريقة سليمة لأن الأدلة النقلية أرشدت اليها ، ونبهت الغافلين عنها . ولأنه لا يمكن للنفس البشرية أن تكون خالية عن الشعور بخالقها وان لم تدركه بحواسها ، ولو لم يكن فى الفطرة أساس يعتمد عليه فى اثبات وجود الله لما نبهت اليها الرسل عليهم الصلاة والسلام والكتب السماوية .

ومثلها طريقة الضرر فانها طريقة صحيحة ثابتة ، ولا يسع الانسان سليم الفطرة الا التسليم بصحتها ، وقد أشار اليها الامام الرازى بقوله " والمقصود أنه عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف لا يرجع الانسان الا الى الله ، وهذا الرجوع يحصل ظاهرا وباطنا لأن الانسان فى هذه الحالة يعظم اخلاصه فى حضرة الله . وينقطع رجاؤه عن كل ما سواه) (١)

---

(١) تفسير الفخر الرازى : جـ ١٣ ص ٢١

فلا شك أن طريقة الضرر كما أشار اليها ابن فودى طريقة صحيحة معتمدة .

وأما طريق النظر فى المخلوقات ، فهو طريق يمكن الزام الخصم به ، وكثيرا ما ورد فى القرآن الكريم اثبات وجود الله عن طريق النظر ، كالنظر فى مراحل تطور خلق الانسان وانتقاله من نطفة الى علقة ومن علقة الى مضغة ثم فيما بعد ذلك من المراحل حتى يصير انسانا سويا ، وبعد ولادته ينتقل أيضا فى مراحل أخرى من الطفولة الى الشباب والشيخوخة حتى ينتهى فى آخر المطاف الى الموت والفناء ، فهذا كله لا يمكن أن يكون الا من خالق عليم حكيم ، وقد مدح الله قوما ووصفهم بأنهم أصحاب العقول ، اذ أداهم تفكيرهم فى المخلوقات الى معرفة اليقين والاعتراف بقدرة الرب " ان فى خلق السموات والأرض لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار " (١) . فدل ذلك على أن النظر الدقيق فى المخلوقات من أعظم الأدلة على معرفة الله عز وجل .

---

(١) سورة آل عمران : ١٩٠ - ١٩١

وأما طريق الشهادة فانه يصعب اقناع الكافر به والزامه بمضمونه لأن الحادث الذى أشارت اليه الآية الكريمة " واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا .. " (١) قد تم فى وقت لا يذكره ولا يذكر ما وقع فيه أحد على وجه التحديد ، وبما أن القرآن قد أخبرنا عن هذا الحدث فانه يجب الايمان به من دون السؤال عن الزمن أو المكان ، ولكن الكافر قد لا يقتنع بأنه قد شهد على نفسه بأن الله ربه ولا رب سواه ، ولا يمكن الزامه بهذه الشهادة .

وأما طريق التواتر فانه وسيلة يتعرف بها الانسان الذى لم يكن فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم على ما حدث فى عصر النبوة من المعجزات ، وما صاحبها وتبعها من عقائد وتشريعات ، ولكن ينبغى أن نأخذ بعين الاعتبار أنه كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم يهود ونصارى وكفار لم يؤمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ولا بما جاء به ، وقد تلقى أعقابهم هذا الكفر والعناد وتوارثوه جيلا عن جيل ، وهذا يمكن أن يسمى تواترا أيضا* . فالتواتر الأول أوصل الى الحق والايمان ، والثانى أوصل الى الباطل والكفر ، اذن فالتواتر طريق لنقل المعلومات

---

(١) سورة الاعراف : ١٧٢

* ولكنه تواتر بعدم ايمانه قوم فى زمانه

ولكن ليس كله طريقا صحيحا .

وبعد أن ذكرت مسلك ابن فودى في اثبات وجود الله ، وبينت أنه قد اعتمد فيه على ما ثبت بالأدلة الشرعية ، وبينت مدى صحة الطرق التى عول عليها ، أنتقل الى بيان موقفه من الصفات الالهية . وقبل أن أتعرض لذلك أرى من المناسب أن أبين موقف العلماء في الصفات ومنهجهم في تقسيمها ليسهل الوصول الى المذهب الذى ألتزمه ابن فودى في مسائل الصفات .

المبحث الثانى : الصفات الالهيـــــة

أ ـ تقسيم الصفات الالهية عند الاشاعــــرة .

للعلماء طرق مختلفة فى تقسيم الصفات الالهية ، فجمهور الاشاعرة (١) يثبتون لله عز وجل عشرين صفة ويقسمونها أربعة أقسام ، ويقسمونها أربعة أقسام ، واصطلحوا على تسميتها بالصفات النفسية ، والصفات السلبية والصفات المعانى والمعنوية .

١ ـ أما الصفات النفسية : فهى صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد (٢) وهى الوجود ، وانمـا نسبت للنفس لانها لا تتعقل الا بها .

٢ ـ صفات السلبيـــة :

(٣) وهى سلب ما لا يليق عن الله عز وجل وتشمل خمس صفات هى القدم ، والبقاء ، ومخالفته تعالى للحوادث ، وقيامه بنفسه والوحدانية .

---

(١) هذا على رأى من يثبت الأحوال من الأشاعرة كالقاضى أبى بكــر الباقلانى ، والامام الجوينى ، أما الذين ينكرون الأحوال كالامام الأشعرى والرازى فانهم لا يعدون الصفات المعنوية والنفسية من أقسام الصفات القائمة بالله الزائدة على الذات .

(٢) حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد ص٤٨ ، الشامل للجوينى ص ٣٠٨

(٣) حاشية الدسوقى على شرح أم البراهين ص ٩٥

٣ - صفات المعانى : وهى كل صفة قائمة بموصوف زائدة على الذات (١) موجبة له حكما وهى سبع صفات : الحياة ، العلم ، الارادة ، القدرة ، السمع والبصر والكلام . وانما سميت بذلك لأن كل واحدة منها صفة ثبوتية تدل على معنى زائد على الذات .

٤ - الصفات المعنوية :

وهى ملازمة لصفات المعانى السبع ، وانما سميت هذه الصفات بالمعنوية لأن الاتصاف بها فرع الاتصاف بصفات المعانى/ عند الصفاتية ، فان اتصاف محل من المحال بكونه عالما أو قادرا مثلا لايصح الا اذا قام به العلم والقدرة وقس على ذلك (٢)

ومن العلماء من قسم الصفات الالهية الى قسمين : ذاتية وفعلية (٣) .

---

(١) حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد ص ٥٧

(٢) حاشية الدسوقى على شرح أم البراهين ص ١١٩

(٣) عبد العزيز المحمد السلمان - الكواشف الجلية عن معانى الواسطية الطبعة الرابعة ، ص ٢٥٨
وقد أسند الاستاذ على مصطفى الغرابى هذا التقسيم الى أبى الهذيل أنظر تاريخ الفرق الاسلامية ص ١٥٨ .

فالصفات الذاتية : هى الملازمة للذات الالهية ، فلا تنفك عنها

وهى قسمان :

١ ـ عقلية : كالقدرة ، والارادة ، والعلم ، والسمع والبصر ..

٢ ـ خبرية : كالوجه ، واليدين ، والقدم والأعين ...

وأما الصفات الفعلية : فهى الأمور المتعلقة بمشيئة الله وارادته ، يفعلها الله متى شاء واذا شاء وهى تنقسم الى قسمين كذلك :

١ ـ عقلية : كالخلق ، والرزق ، والعطاء والمنع .

٢ ـ خبرية : كالمجئ ، والنزول والاستواء .

وأما سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الحديث فانهم مجمعون على اثبات جميع ما وردت به النصوص الشرعية من الصفات لله عز وجل دون أن يشبهوا شيئا منها بصفات المخلوق ، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل ، ولم يعرف عنهم القـــول بالتأويل أو التعطيل ، وانما يفوضون العلم بحقيقة تلك الصفات وكيفية اتصافه بها الى الله تعالى عملا بمضمون آيات التنزيه " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير " .

يقول الحافظ ابن عبد البر الأندلسى [(١)] : " أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة فى الكتاب والسنة ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز الا أنهم لم يكيفوا شيئا من ذلك [(٢)] ".

---

(١) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى المالكي ، ابو عمر ، من كبار حفاظ الحديث ، يقال له حافظ المغرب ، ولد بقرطبة ورحل رحلات طويلة ، ومن كتبه " الدرر فى اختصار المغازى والسير " الاستيعاب فى تراجم الصحابة ، وجامع بيان العلم وفضله . توفى سنة ٤٦٣هـ(الاعلام : ٩/٣١٦)

(٢) الحافظ شمس الدين الذهبى : العلو للعلى الغفار ، ط٢ص١٨٢

ب ـ ابن فودى والصفات الالهية

يذهب الشيخ عثمان بن فودى الى أن الله تعالى متصف بجميع صفات الكمال ، منزه عن جميع النقائص ، كما يرى أن من الصفات ما يجب اتصاف الله به لأن أضدادها مستحيل على الله سبحانه فيقول :

(الوجود واجب له تعالى ، وضده الذى هو العدم مستحيل عليه ، والقدم واجب له تعالى وضده الذى هو الحدوث مستحيل عليه ، والبقاء واجب له ، وضده الذى هو الفناء مستحيل عليه ، والمخالفة للحوادث واجب له تعالى وضده الذى هو المماثلة مستحيل عليه ، والقيام بنفسه واجب له تعالى ، وضده الذى هو الافتقار الى محل ومخصص مستحيل عليه ، والقدرة واجبة له تعالى وضدها الذى هو العجز مستحيل عليه ، والعلم واجب له وضده الذى هو الجهل مستحيل عليه ، والسمع واجب له وضده الذى هو الصمم مستحيل عليه والبصر واجب له تعالى ، وضده الذى هو العمى مستحيل عليه ، والكلام واجب له تعالى وضده الذى هو البكم مستحيل عليه)[1]

ويقول فى مقام آخر : (العالم كله من عرشه وفرشه حادث ، وصانعه الله تعالى ، وهو تعالى واجب الوجود ، قديم لا أول له ، باق لا آخر

---

(١) الشيخ عثمان بن فودى : معراج العوام الى سماع علم الكلام (مخطوط) ص ٢ - ٤

له ، مخالف للحوادث ، ما هو بجرم ولا صفة لجرم ، ولا جهة له ولا مكان (١) ، بل هو كما كان في الأزل قبل العالم ، غني عن المحل والمخصص ، واحد في ذاته ، وفي صفاته وفي أفعاله ، قادر بقدرة ، مريد بإرادة ، عالم بعلم ، حي بحياة ، سميع بسمع ، بصير ببصر ، متكلم بكلام ، مختار في أفعاله وتركه ، والكمال الالهي واجب له ، والنقص الذي هو ضد الكمال الالهي مستحيل عليه (٢))

وبعد هذا الاجمال ، أنتقل الى شرح هذه الصفات بأدلتها السمعية والعقلية كما أوردها ابن فودي فأقول :

الوجـــود

وهو ثبوت الشيء وتحققه ، فهو صفة ثابتة لله عز وجل . فوجوده ذاتي ليس لعلة مؤثرة فيه ، ويقول ابن فودي في اثبات هذه الصفة :

(وأما دليل وجوده تعالى فوجود المخلوقات بعد أن لم تكن لأن وجود الفعل بلا فاعل محال (٣)) ، كما استدل بقوله تعالى " أفي الله شك فاطر السموات والأرض (٤) " فلا يشك أحد من أصحاب العقول

---

(١) الظاهر ان ابن فودي ينفي عن الله الجهة والمكان وسيأتي تفصيل ذلك في فصل رؤية المؤمنين لله .

(٢) الشيخ عثمان بن فودي : كتاب أصول الدين (مخطوط) تبصرة المبتدئ في أصول الدين (مخطوط) ص ١٣

(٣) الشيخ عثمان بن فودي : معراج العوام الى سماع علم الكلام (مخطوط) ص ٤

(٤) سورة ابراهيم : ١٠

النيرة فى وجوب اتصاف المولى عز وجل بصفة الوجود وقد تضافرت الأدلة الحسية والمعنوية على اثبات الوجود المطلق لله .

القـــــدم

هذه الصفة تفيد أن الله سبحانه وتعالى ، لا أول لوجوده انه لو كان لوجوده أول لكان مسبوقا بعدم ، ولكان حادثا ، ولو كـــان حادثا لاحتاج الى من يوجده من العدم وهو محال لأنه قد ثبت لــه الوجود المطلق كما أسلفنا ، واذا ثبت له عدم الأولية لزم قدمه .

يسوق الشيخ عثمان الأدلة على ذلك فيقول : (ودليل قدمه لزوم الدور والتسلسل فى تقدير حدوثه وهما محالان)[1] وقد جرت عادة علماء الكلام أن يستدلوا بهذا الدليل لاثبات صفة القدم لله عز وجل .

يقول الباقلانى :

" انه لو لم يكن قديما لكان محدثا ، ولو كان محدثا لاحتاج الـــى محدث أحدثه ، لأن غيره من الحوادث انما احتاجت الى محدث لأنها محدثة ، ولو كان ذلك كذلك لاحتاج كل محدث الى محدث آخر الى ما لا نهاية ولا غاية ولما بطل ذلك صح كونه قديما أزليا"[2]

---

(١) الشيخ عثمان بن فودى ـ عمدة البيان فى العلوم التى وجبت على الأعيان (مخطوط) ص٢ .

(٢) الامام الباقلانى ـ الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، ط ٢ ، ١٣٨٢ هـ ص ٣٣

غير أن هذه الصفة لم يرد بها لفظ القرآن ، لذلك كان بعض السلف ـ حرصا منهم على التزام التقيد بألفاظ الشرع ـ يردون هذا اللفظ ، ويعبرون بلفظ " الأول " الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم " أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر وليس بعدك شيء وأنت الظاهر وليس فوقك شيء وأنت الباطن وليس دونك شيء " (١)

وفي هذا يقول شارح العقيدة الطحاوية " وجاء الشرع باسمه الأول وهو أحسن من القديم لأنه يشعر بأن ما بعده آئل اليه وتابع له بخلاف القديم " (٢)

البقـــاء

معناه أن الله تعالى أبدى ليس لوجوده آخر فيستحيل أن يلحقه العدم والفناء ، فهو باق الى ما لا نهاية له ، وفيه يقول شيخنا عثمان (٣)
" والبقاء واجب له تعالى ، وضده الذى هو الفناء مستحيل عليه "
" وان الله قد أثبت كونه باقيا بقوله " وتوكل على الحى الذى لا يموت " (٤)

---

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده ٢/ ٣٨١
(٢) العلامة على بن على بن محمد بن أبى العز ـ شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق العلامة أحمد شاكر ص ٤٢
(٣) معراج العوام ص ٢
(٤) سورة الفرقان ٥٨ ، احياء السنة ص ٣٨

وأما الدليل العقلي فهو كما يقرره أن كل ما ثبت قدمه استحال عدمه .

المخالفة للحوادث

المراد بهذه الصفة " أن الله تعالى ليس مماثلا لشيء من الحوادث الموجودة أو المعدومة مطلقا سواء كان في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله " [1] ، ويستدل الشيخ عثمان على ذلك بقوله :

(و دليل مخالفته لها قدرته على ايجادها) [2] وبقوله تعالى :

" ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " [3] ومعنى ذلك أنه تعالى لو لم يكن مخالفا للحوادث لكان مماثلا لها ، ومحال أن يكون مماثلا لها لأنه خالقها ورازقها ، ولا يعقل ايجاد المخلوق من مخلوق مثله في الذات أو في الصفة أو في الفعل ، فلزم عدم المماثلة بين الخالق والمخلوق .

ولكننا نرى أن هنالك كثيرا من الصفات يشترك فيها الانسان وهو من الحوادث) مع الله جل جلاله كصفة العلم ، والقدرة والارادة والسمع والبصر ونحوها ، وذلك يناقض ما ثبت من أنه مخالف للحوادث .

---

(١) أحمد الهاشمي - السعادة الأبدية ص ٤٥

(٢) عمدة البيان ص ٢

(٣) سورة الشورى : ١١

والجواب على ذلك كما يقول الشنقيطى : (نحن نعلم أن كل ما فى القرآن حق وأن للمولى جل وعلا قدرة حقيقية تليق بكماله وجلاله ، كما أن للمخلوقين قدرة حقيقية مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم ، وبين قدرة الخالق والمخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق) (١)

القيام بالنفس

قيامه تعالى بنفسه يعنى عدم افتقاره الى مكان يقوم فيه أو محل يحل فيه أو مخصص يخصصه فهو غنى عن ذلك كله ، ويثبت شيخنا هذه الصفة بقوله (وأما دليل قيامه تعالى بنفسه فلأنه لو افتقر الى محل لكان كالصفة ، ولو كان صفة لما اتصف بالمعانى والمعنوية ، ولو لم يتصف بهما لعجز عن ايجاد المخلوقات ، كيف والمخلوقات موجودة ، ولو افتقر الى مخصص لكان حادثا ، ولو كان حادثا لعجز عن ايجاد المخلوقات ، كيف والمخلوقات موجودة) (٢) ، كما يستدل بالأدلة القرآنية على ذلك ، منها قوله تعالى : " يا أيها الناس أنتم

---

(١) الشيخ محمد الأمين الشنقيطى ـ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة ص ٦

(٢) معراج العوام ص ٥

الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد" (١) ،

وقوله تعالى : " ان الله لغنى عن العالمين " (٢) .

الوحدانيـــة

معناها سلب تصور العدد عن الله تعالى/في ذاته وصفاته وأفعاله ،

فالله سبحانه وتعالى واحد فى ذاته ، لاشريك له ولا معين له يعينه

على أفعاله ، وفى هذا يقول ابن فودى :

" والوحدانية واجب له ، وضدها الذى هو التعدد فى الذات

والصفات والأفعال مستحيل عليه . . والدليل على وجوب وحدانيته

أنه لو لم يكن واحدا لعجز عن ايجاد المخلوقات" (٣) ويوضح هذا

الدليل ما قاله التفتازانى :

" ان صانع العالم واحد ، ولا يمكن أن يصدق مفهوم واجب الوجود

الا على ذات واحدة ، والمشهور فى ذلك بين المتكلمين برهان التمانع

المشار اليه بقوله تعالى : " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا " (٤)

---

(١) سورة فاطر : ١٥

(٢) سورة العنكبوت : ٦

(٣) نفس المرجع ص ٥

(٤) سورة الأنبياء : ٢٢

وتقريره أنه لو أمكن الهان لأمكن تمانع بأن يريد أحدهما حركة زيـد والآخر سكونه لأن كلا منهما فى نفسه أمر ممكن وحينئذ اما أن يحصل الأمران فيجتمع الضدان أولا فيلزم عجز أحدهما وامارة الحدوث والامكان لما فيه من شائبة الاحتياج)[١] وقد استدل الشيخ عثمان على هذه الصفة بقوله تعالى : " قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد "[٢] وهذا الذى يقرره ابن فودى موافق لما عليه جميع المسلمين سلفا وخلفا ولم يرد قول مخالف لهذا الا ما يردده النصارى من ان الله ثالث الثلاثة - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

القـــــدرة

هى صفة أزلية يتأتى بها ايجاد كل ممكن واعدامه[٣] ، فلله الخلق والأمر يوجد بقدرته ما يشاء ويعدم بها ما يشاء وفق ارادته .

ويستحيل عليه الاتصاف بضدها الذى هو العجز ، اذ لو اتصف بضدها لما أوجد شيئا من المخلوقات لأن المخلوقات لا تصدر الا من رب موصوف بالقدرة التامة ، وقد أثبت ابن فودى هذه الصفة بقوله تعالى " ان الله على كل شىء قدير "[٤]

---

(١) سعد الدين التفتازانى - شرح العقائد النسفية ص ٦٢-٦٣
(٢) سورة الاخلاص - ١ - ٤
(٣) شرح جوهرة التوحيد ص ٨٧ ، حاشية البيجورى على متن السنوسية ص ٢
(٤) سورة البقرة ٢٠ ، احياء السنة ص ٣٨

الارادة

الارادة فى اللغة القصد ، وترادفها المشيئة ، وفى اصطلاح علماء الكلام ، صفة أزلية زائدة على الذات قائمة به سبحانه ، تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه (١) وذلك لأن كل فعل صدر من الله سبحانه ، يمكن أن يصدر عنه ضده ، فلابد من ارادة تخصص أحد طرفى الممكن . يقول الشيخ عثمان " انه تعالى مريد ، ودليل ارادته اختلاف أنواع المخلوقات (٢)) ، فالارادة متعلقة بالمخلوقات تعلقا صلوحيا وتنجيزيا قديمين ، أما التعلق الصلوحى فهو صلاحيتها لما تصلح لها فى الأزل ، وما تجوز عليها من الأوصاف ، وأما التعلق التنجيزى فهو تخصيص المخلوقات بالوجود على ما هى عليها من الأوصاف أو عدمها . ويستدل الشيخ عثمان على صفة الارادة بقوله تعالى " فعال لما يريد " (٣) وما أكثر الأدلة الشرعية على عموم ارادته سبحانه وتعالى كقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " (٤) وقوله تعالى " انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " (٥)

---

(١) حاشية الدسوقى على شرح أم البراهين ، الطبعة الأولى ص ٩٥

(٢) عمدة البيان ص٣

(٣) سورة البروج : ١٦

(٤) سورة البقرة ١٨٥

(٥) سورة يس : ٨٢

العلـــــم

العلم صفة أزلية قائمة بذات الله ينكشف بها المعلوم انكشافا على وجه الاحاطة من غير سبق خفاء (١) يقول الشيخ عثمان (والعلـم واجب له تعالى وضده الذى هو الجهل مستحيل عليه ، والدليـل على علمه اتقان الأشياء (٢)) وذلك لاستحالة حصول الاتقان مع الجهل ، فاذا أمعن الانسان النظر الى هذه المخلوقات وأدرك ما فيـهـا مـن الابداع ، والاحكام ، علم بالضرورة أنها لا تصدر الا ممن هو عالـم بدقائق الأمور . ويثبت الشيخ عثمان هذه الصفة بقوله تعالى " والله بكل شيئ عليم " (٣) أى لا يغيب عن علمه شئ مهما خفى .

الحيــــاة

هى صفة تقتضى صحة العلم لموصوفها " (٤) ومعنى ذلك أنه لو لم يكن متصفا بصفة الحياة لما صح وصفه بالعلم والقدرة والارادة وسائـر الصفات اذ لا يستحق هذه الصفات الا من كان حيا ، يقول شارح

---

(١) حاشية البيجورى على متن السنوسية ص ٢٢ ، أنظر أيضا كبرى اليقينات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان ص ١٢٩

(٢) عمدة البيان ص ٣ ، معراج العوام ص ٣

(٣) سورة النساء : ١٧٦

(٤) هداية الطالبين (مخطوط) ص ٣

العقيدة الطحاوية : (ان الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ولا يتخلف عنها صفة منها الا لضعف الحياة ، فاذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم اثباتها اثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة) (١)

ويقول الشيخ عثمان بن فودى " والحياة واجبة له تعالى وضدها الذى هو الموت مستحيل عليه .. ودليل حياته استحالة كون الميت فاعلا " (٢)

وقال أيضا " ان الله قد أثبت كونه حيا بقوله " هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين .." (٣)

السمـــع والبصـــر

هما صفتان وجوديتان قائمتان بذاته تعالى ، تتعلقان بكل موجود على وجه الاحاطة تعلقا زائدا على تعلق العلم ، فلا يعـــزب عن سمعه مسموع وان خفى ، ولا يغيب عن رؤيته مرئى وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام ، يرى من غير حدقة وأجفـان ، ويسمع من غير أضمخه وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة . (٤)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٠
(٢) عمدة البيان ص ٣
(٣) سورة الغافر : ٦٥
(٤) السيد أحمد الهاشمى ـ السعادة الأبدية ص ٧٥ ـ ٧٦

ومما أورده ابن فودى لاثبات هاتين الصفتين من القرآن قوله تعالى : " انني معكما أسمع وأرى "(١) وقوله تعالى " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير "(٢) كما يقرر أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أثبت صفتي السمع والبصر بقوله " أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا أعمى ولا أبكم ولا غائبا وانما تدعون من هو سميع بصير "(٣) وأما الدليل العقلى فيقول :

" أما دليل السمع والبصر فلأنه لو لم يتصف بهما لزم أن يتصف بأضدادهما وأضدادهما نقائص والنقص عليه تعالى محال "(٤) .

الكــــلام

يقول الشيخ عثمان بن فودى (والكلام القائم بذاته تعالى ، المعبر عنه بالقرآن ، المكتوب فى المصاحف بأشكال الكتابة ، وصور الحروف الدالة عليه المحفوظ فى الصدور المقروء بالألسنة بحروفه الملفوظة ، المسموعة)(٥)

---

(١) سورة طه : ٤٦
(٢) سورة الشورى : ١٦
(٣) رواه البخارى وأحمد فى مسنده ٤/٤٠٢
(٤) معراج العوام ص ٦
(٥) هداية الطالبين ص ٣ - ٤

واستدل عليه بقوله تعالى : " وكلم الله موسى تكليما ..." (١)

كما استدل بقوله " والكلام واجب له وضده الذى هو البكم مستحيل عليه" (٢)

هذه بالاضافة الى الصفات المعنوية السبعة ـ كونه تعالى قادرا ، ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما ـ هى الصفات التى أثبتها ابن فودى لله تعالى واستدل عليها بمثل ما استدل به على ما قبلها من الصفات لأنها لا تخرج عن دائرتها ويمكن ان نستخلص مما سبق ذكره أن ابن فودى قد التزم مذهب متأخرى الاشاعرة الذين يثبتون لله عشرين صفة ، غير أنه التزم فى ايراده الأدلة على اثبات هذه الصفات الأدلة النقلية والعقلية معا ، وأن الأدلة العقلية التى التزمها تضمنت سلب احدى الصفتين المتقابلتين التى لا تليق به سبحانه وتعالى عنه وحيث ان النقيضين لا يسلبان معا تثبت ما تليق بذاته تعالى وذلك منهج سليم قد أشار اليه من قبله شيخ الاسلام ابن تيمية اذ يقول : (من الطرق التى سلكها الأئمة ومن تبعهم من نظار السنة فى هذا الباب انه لو لم يكن موصوفا باحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرى ، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت ، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز ولو لم يوصف بالسمع والبصر والكلام لوصف

---

(١) سورة النساء : ١٦٤
(٢) معراج العوام ص ٣

بالصمم والخرس والبكم .. فسلب احدى الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم ثبوت الأخرى وتلك صفة نقص ينزه عنها الكامل من المخلوقات ، فتنزيه الخالق عنها أولى) (١)

وأما الصفات الخبرية (٢) فان ابن فورى لم يلتزم فيها منهجا واحدا مستقلا وانما يلجأ تارة الى التفويض ، وتارة الى التأويل ، ويتبين هذا الموقف المزدوج من قوله :

(وما ورد في الكتاب والسنه من المشكل من الصفات نؤمن بظاهرها وننزه عن حقيقتها كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى (٣) .. ويبقى وجه ربك (٤) ... ولتصنع على عيني (٥) .. يد الله فوق أيديهم (٦) ، وقوله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه (ص د ، هـ)

(٢) وهي تلك الصفات التي كان طريق اثباتها السمع فقط دون أن يكون للمعقول دور في اثباتها ، وهي اما ذاتية - كالوجه واليدين ، والأعين ، وأما فعليه كالاستواء ، والنزول ، والمجيء ونحو ذلك .

(٣) سورة طه : ٥

(٤) سورة الرحمن : ٢٧

(٥) سورة طه : ٣٩

(٦) سورة الفتح : ١٠

أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف شاء (١) ، ثم نفوض معناها المراد اليه تعالى كما هو مذهب السلف وهو أسلم ، أو نؤول كما هو مذهب الخلق فنؤول فى الآيات الاستواء بالاستيلاء ، والوجه بالذات ، والعين بالبصر ، واليد بالقدرة ..) (٢)

وأرى من المناسب هنا أن أستعرض بايجاز أقوال الفـــرق الاسلامية فى هذا الموضوع ومن أبرز الفرق التى تناولت البحث فـــى هذه المسألة المعتزلة والاشاعرة :

المعتزلة :

هؤلاء ينفون الصفات الخبرية ويؤولون ما وردت فيها من الآيات والأحاديث كما نفوا الرؤية وفى هذا يقول الشهرستانى " اتفقوا على نفى الرؤية بالأبصار فى دار القرار ، ونفى التشبيه من كل جهة ، جهة ومكانا وصورة وجسما وتحيزا وانتقالا وتغيرا وتأثرا وأوجبوا تأويـل الآيات المتشابهة فيها " (٣)

---

(١) رواه الامام احمد ١٦٨/٢ ومسلم فى كتاب القدر رقم ٢٦٥٤ ج٤ ص٢٠٤٥

(٢) هداية الطالبين ص ٤ - ٥

(٣) الملل والنحل جـ ١ ص ٤٥ ، الفرق بين الفرق للبغدادى ص١١٤

٢ - المتأخرون من الأشاعرة :

كأبى المعالى الجوينى (١) ، والامام الغزالى ، والرازى ،

فهؤلاء لا يثبتون الصفات الخبرية لاعتقادهم أنها تؤدى الى التجسيم وحلول الحوادث بذاته تعالى وقد أولوا ما ورد فى الصفات الخبرية من النصوص على النحو الذى بينه الجوينى بقوله " ذهب بعض أئمتنا الى أن اليدين ، والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى والسبيل الى اثباتها السمع دون قضية العقل ، والذى يصح عندنا حمل اليدين على القدرة وحمل العينين على البصر وحمل الوجه على الوجود " (٢)

وقال التفتازانى فى مبحث الصفات المختلف فيها " منها ما ورد به ظاهر الشرع وامتنع حملها على معانيها الحقيقية مثل الاستواء فى قوله " الرحمن على العرش استوى (٣) واليد فى قوله تعالى " يد الله فوق أيديهم " (٤) " وما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى " (٥) ... الى أن قال " انها ظنيات سمعية فى معارضة قطعيات عقلية ، فيقطع

---

(١) الجوينى (٤١٩-٤٧٨هـ) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى أبو المعالى ، ركن الدين الملقب بامام الحرمين ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعى ، ولد فى جوين من نواحى نيسابور ، رحل الى بغداد فمكة حيث جاورها أربع سنين وذهب الى المدينة ، فأفتى ودرس ، جامعا طرق المذاهب ثم عاد الى نيسابور . له مصنفات كثيرة منها غياث الأمم ، العقيدة النظامية ، والبرهان فى أصول الفقه والشامل فى أصول الدين والارشاد الاعلام ٣٠٦/٤

(٢) الارشاد للجوينى ص١٥٥ (٣) سورة طه : ٥ (٤) سورة الفتح ١٠

(٥) سورة ص : ٧٥

بأنها ليست على ظواهرها ويفوض العلم بمعانيها الى الله تعالى مع اعتقاد حقيقتها جريا على الطريق الأسلم الموافق للوقف على " الا الله" في قوله " وما يعلم تأويله الا الله "(١) أو نؤول تأويلات مناسبة موافقة لما عليه الأدلة العقلية "(٢)

فالمؤولون لصفات الله عز وجل عقدوا مشابهة بين الخالق والمخلوق وتوهموا أنهم ان أثبتوا لله هذه الصفات التي ذكرها في كتابه المنزل - وهو أعلم بنفسه من خلقه - أو ما أثبتها له رسوله - وهو أعلم الخلـق بربه - توهموا أنهم قد شبهوه بخلقه والله تعالى أجل وأعظم مـن كل ما قد يخطر ببال بشر أو ما قد تدركه عقولهم ، اقرأ ان شئت ما ادعاه الرازي في أساس التقديس .

" ان جميع فرق الاسلام مقرون بأنه لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار انه ورد في القرآن ذكر الوجه ، وذكر العين ، وذكر الجنب الواحد ، وذكر الأيدي ، وذكر الساق الواحدة ، فلو أخذنا بالظواهر لزمنا اثبات شخص له وجه واحد ، وعلى الوجه أعين كثيرة وله

---

(١) سورة آل عمران : ٧

(٢) شرح المقاصد ج ٢ ص ٦٧

ساق واحدة ولا نرى في الدنيا شخصا أقبح صورة من هذه الصـــورة المتخيلة ولا اعتقد أن عاقلا يرضى بأن يصف ربه بهذه الصفة " (١)

٣ ـ أما المتقدمون من الأشاعرة : كالامام أبي الحسن الأشعرى (٢) والباقلاني وغيرهما فهم يثبتون جميع الصفات الخبرية ويصفون الله بكل ما وصفـــه به نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يقول الامـــام أبو الحسن الأشعرى " وجملة قولنا ان نقر بالله وملائكته وكتبه ورســـله وما جاء من عند الله وما رواه الثقاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئا ، وأن الله استوى على عرشه كما قال " الرحمن على العرش استوى " وان له وجها كما قال " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " وان له يدين بلا كيف كما قال " خلقت بيدي " ،

---

(١) فخر الدين الرازى ـ أساس التقديس ، مطبعة مصطفى البابـــي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٤ هـ ، ص ٧٩

(٢) هو الامام أبو الحسن على بن اسماعيل بن أبي بشر اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد بن موسى بن هلال بن أبي بردة عامر بن ابي موسى الأشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأشعرى نسبة لأشعر أحد أجداده ، ولد سنة سبعين وقيل ستين ومائتين بالبصرة وتوفى سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة ببغداد (جلاء العينين ص ٢١٣)

وان له عينا بلا كيف كما قال " تجرى بأعيننا " .(١)

ويقول الباقلانى ردا على سؤال من أول الصفات الخبرية " هذا باطل لأن قوله " بيدى يقتضى اثبات يدين هما صفة له ، فلو كـــان المراد بها القدرة لوجب أن يكون له قدرتان وأنتم لا تزعمون أن للبارئ سبحانه قدرة واحدة فكيف يجوز أن تثبتوا له قدرتين وقد أجمع المسلمون من مثبتى الصفات ، والنافين لها على أنه لا يجوز أن يكون له تعالى قدرتان ،فبطل ما قلتم ، وكذلك لا يجوز أن يكون الله تعالى خلق آدم بنعمتين لأن نعم الله على آدم وعلى غيره لا تحصى "(٢)

٤ ـ وأما جمهور أهل السنة والجماعة فهم كما أسلفت يثبتون للــــه عز وجل جميع الصفات ولا يفرقون بين الذاتية والفعلية فى الاثبات ، بل ينزهون الله عن مشابهة الحوادث ، يصور المقريزى موقف السلف من آيات الصفات فيقول " ومن أمعن النظر فى دواوين الحديث النبوى ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم ـ على اختلاف طبقاتهم وكثـــرة عددهم ـ أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شئ مما

---

(١) الابانه عن أصول الديانة ص ٩

(٢) التمهيد ص ٢٥٩

وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة فى القرآن الكريم وعلى لسان نبيـــه محمد صلى الله عليه وسلم .... نعم ولا فرق أحد منهم بين كونـــه صفة ذات أو صفة فعل وانما أثبتوا له صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعز والعظمة وساقوا الكلام سوقا واحدا وهكذا أثبتوا رضى الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفى مماثله المخلوقين ، فأثبتوا رضى الله عنهم بلا تشبيه ونزهوا مـــن غير تعطيل ولم يتعرض أحد منهم الى تأويل شىء من هذا ورأوا اجراء الصفات كما وردت " (١)

ويقول الامام أبو حنيفة رحمه الله " فما ذكره الله تعالى فى القـــرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ، ولا يقال أن يده قدرته أو نعمته لأن فيه ابطال لصفته وهو قول أهل القدر والاعـــتزال ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف " (٢)

---

(١) خطط المقريزى ، طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ جـ ٣ ص ٣٠٢

(٢) الفقه الأكبر ص ٣

ويقول الحافظ ابن قيم الجوزية : (قد تنازع الصحابة فى كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة ايمانا ولكن بحمد الله لم يتنازعوا فى مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على اثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم الى آخرهم لم يسوموها تأويلا ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالايمان والتعظيم ، وجعلوا الأمر فيها أمرا واحدا وأجروها على سنن واحد ")[1]

نستطيع بعد ما تقدم أن نجزم بأن ابن فودى يوافق مسلك متأخرى الأشاعرة فى الصفات عموما حيث أثبت عشرين صفة وأخذ بتأويل الصفات الخبرية ، غير أن المذهب الحق فى الصفات الالهية هو ما عليه السلف ومن وافقهم .

---

(١) ابن قيم الجوزية : اعلام الموقعين عن رب العالمين ، الطبعة الجديدة ١٣٨٨ هـ ج ١ ص ٤٩

المبحث الثالث

رؤية المؤمنين لله عز وجل فى الآخرة

يذهب ابن فودى الى أن الله سبحانه وتعالى يراه المؤمنون يوم القيامة ، ويحجب عنه الكفار فلا يرونه ، ويقرر ذلك بالأدلة الشرعية فيقول : (ونعتقد أن رؤية المؤمنين لله تعالى قبل دخول الجنة وبعده حق ، قال تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (١)

وفى الصحيحين ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هل تمارون فى القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا ، قال فهل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك " (٢) .

وروى مسلم حديثا .. اذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول الله تعالى أتريدون شيئا أزيدكم ، فيقولون ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ، فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم .

---

(١) سورة القيامة : ٢٧

(٢) متفق عليه ، رواه الامام البخارى فى كتاب التوحيد جـ ١٣ ص ٤١٩ ، ورواه الامام مسلم فى كتاب الايمان جـ ١ ص ١٦٣

وفى رواية ثم تلا " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (١) فالحسنى الجنة والزيادة النظر اليه تعالى ويحصل بأن ينكشف انكشافا منزهـا عن المقابلة والجهة ، وأما الكفار فلا يرونه لقوله تعالى" كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ". (٢)

من هذه النصوص يتبين لنا أن الشيخ عثمان يثبت رؤية المؤمنين لله سبحانه وتعالى فى الآخرة خلافا لمن نفاها من المعتزله وأضرابهم. وأما المعتزلة فانهم ذهبوا الى القول باستحالة الرؤية لأنها تقتضى أن يكون الله فى مكان - على زعمهم - ولذلك لجأوا الى تأويل الآيات (٣) الدالة على امكان الرؤية . ولسنا بصدد الرد على المعتزلة وانمـا عقدنا هذا الفصل لبيان موقف الشيخ عثمان من هذا الموضوع .

وما ذهب اليه ابن فودى من اثبات الرؤية للمؤمنين يوم القيامة بالأدلة الشرعية هو ما أجمع عليه أئمة الاسلام خلفا وسلفا . وأما وجه الاستدلال بالآية الكريمة على هذا فهو كما ذكره الحافظ ابن قيم الجوزية

---

(١) سورة يونس : ٢٦ والحديث رواه الامام مسلم فى صحيحه فى كتاب الايمان ، باب اثبات رؤية المؤمنين لربهم جـ ١ ص ١٦٣

(٢) سورة المطففين : ١٥ أنظر هداية الطالبين (مخطوط) ص ١١-١٢

(٣) أنظر القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، الطبعة الأولى ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٩

" اضافة النظر الى الوجه وتعديته بأداة " الى " الصريحة فى نظر العين ، واخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف الى الوجه خلاف حقيقته وموضوعه صريح فى أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه الى نفس الرب جل جلاله ، فان النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديته بنفسه ، فان عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى : " أنظرونا نقتبس من نوركم " (١) . وان عدى بـ " فى " فمعناه التفكر والاعتبار كقوله تعالى " أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض " (٢) وان عدى بـ " الى " فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله " أنظروا الى ثمره اذا أثمر " (٣) فكيف اذا أضيف الى الوجه الذى هو محل البصر " (٤) .

فاذا تقرر أنه لا يجوز أن يكون الله عنى بقوله " الى ربها ناظرة " فضلا عن كون النظر معدى بالى فانه التوقف والانتظار لأنه ليس فى شئ من أمر الجنة التوقف والانتظار ولأن الآية وردت فى معرض البشارة للمؤمنين واذا تقرر كذلك أن الآية

---

(١) سورة الحديد : ١٣

(٢) سورة الاعراف : ١٨٥

(٣) سورة الانعام : ٩٩

(٤) حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ، الطبعة الثالثة ص ٢١٠

لا تحتمل أن يكون الله أراد بها التفكر والاعتبار لأن الآخرة ليست دار الاستدلال والاعتبار تعين أن يكون المقصود بها اثبات رؤية المؤمنين لله عيانا يوم القيامة تشريفا لهم وقرة لعيونهم . وأما الآية الثانية فهي ظاهرة الدلالة على أن الكفار محجوبون عن رؤية ربهم في الآخرة ، وفي ذلك أشد العقاب لهم على كفرهم وعنادهم ، ولما كان المؤمنون أهل الطاعة وهم أولياء الله ، فلا يتساوى الطرفان في الرؤية ولذلك قال الامام الشافعي : " لما أن حجب هؤلاء في سخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا " . (١)

وأما الأحاديث النبوية فما أكثرها دلالة على هذا الموضوع ، لقد أورد ابن فودى حديثين هما من أصح الأحاديث في اثبات الرؤية ، ففي احدهما بيان المعنى المراد من الزيادة المذكورة في آية : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " بأنه النظر الى وجه الله عز وجل وقد أخذ الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين بهذا التفسير النبوى للآية . فلا حجة لمن أوّل النظر بما لا يحتمله من المعاني بعد هذا التفسير .

---

(١) حادى الأرواح ص ٢٠٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١١١

وقد ذهب الى القول بجواز الرؤية جمهور العلماء وفيما يلي طائفة من أقوالهم :

يقوم الامام الرازي : (لو لم يكن الله تعالى جائز الرؤية لما حصل التمدح بقوله " لا تدركه الأبصار " (١) ألا ترى أن المعدوم لا تصح رؤيته) (٢) .

ويقول الاسفراييني : " وان تعلم ان القديم سبحانه يرى ، وتجوز رؤيته بالأبصار لأن ما لا تصح رؤيته لم يتقرر وجوده كالمعدوم ، وكل ما صح وجوده جازت رؤيته كسائر الموجودات ودلائل هذه المسألة في كتاب الله كثيرة " (٣)

وقال الامام الأشعري : " وندين بأن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقول أن الكافرين محجوبون عنه اذا رآه المؤمنون في الجنة " (٤) .

ومما استدل به جمهور العلماء على اثبات الرؤية قوله تعالى في

---

(١) سورة الانعام : ١٠٣
(٢) تفسير الفخر الرازي ١٣/١٢٥
(٣) الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٩٤
(٤) الابانة عن أصول الديانة ص ١٠

حكاية قول موسى عليه السلام " رب أرنى أنظر اليك ، قال لن ترانى ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى " (١)

والاستدلال بهذه الآية من وجوه :

أ - ان موسى عليه السلام قد سأل الله الرؤية بقوله " رب أرنى أنظر اليك " ولا يعقل أن يكون كليم الله ونبى من أنبيائه يسأل ربه ما لا يجوز عليه ، فدل ذلك على أن ما سأله موسى عليه السلام ليس مستحيلا فى حق الله . (٢)

٢ - ان الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالا لأنكره عليه كما أنكر على نوح عليه السلام لما سأل نجاة ابنه من الغرق قائلا " انى أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين " . (٣)

---

(١) سورة الاعراف : ١٤٣

(٢) حادى الأرواح ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، شرح العقيدة الواسطية ص ٩٦ - ٩٧ ، الاعتقاد للبيهقى ص ٤٧

(٣) سورة هود : ٤٥ - ٤٧

٣ - ان الله سبحانه وتعالى علق الرؤية على استقرار الجبل حال التجلى ، والله قادر على أن يجعل الجبل مستقرا مكانه وليس هذا بممتنع فى مقدوره ولو كانت محالا فى ذاتها لم يعلقهـا بالممكن فى ذاته .

٤ - فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وهذا من أعظم الأدلة علـى جواز رؤيته لأنه اذا جاز أن يتجلى للجبل الذى هو جماد فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه وأوليائه فى دار كرامته ويريهم نفسه .

هذا وقد فسر ابن فودى النظر الى الله تعالى بقوله :

" ويحصل بأن ينكشف انكشافا منزها عن المقابلة والجهة "(١) فأثبـت الرؤية ونفى الجهة والمقابلة ، ولم يورد دليلا على ذلك كعادته ، وأما كبار الأشاعرة كالامام أبى بكر البيهقى فقد استدل على نفـى الجهة بالحديث الذى جاء فيه " أما انكم ستعرضون على ربكم عـز وجل فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته "(٢).

---

(١) هداية الطالبين ص ١٢

(٢) رواه البخارى فى كتاب التوحيد جـ ١٣ ص ٤١٩

يقول الامام البيهقى " سمعت الشيخ الامام أبا الطيب سهل ابن محمد بن سليمان رحمه الله فيما أملاه علينا فى قوله " لا تضامون فى رؤيته " - يريد لا تجتمعون لرؤيته فى جهته ولا يضم بعضهم الى بعض لذلك فانه عز وجل لا يرى فى جهة كما يرى المخلوق فى جهة "(١)

فهذا الاعتقاد لا يوافق ما عليه سلف هذه الأمة ، لأن السلف أثبتوا الرؤية والجهة معا لأنهما متلازمان وقد أورد شيخ الاسلام ابن تيمية أقوال نفاة الجهة ورد عليهم بقوله " قول هؤلاء أن الله يرى من غير معاينة ومواجهة قول انفردوا به دون سائر طوائف الأمة وجمهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة . . .
وأما قوله أن الخبر يدل على أنهم يرونه لا فى جهة وقوله " لا تضامون" معناه لا تضمكم جهة واحدة فى رؤيته فانه لا فى جهة ، فهذا تفسير للحديث بما لا يدل عليه ولا قاله أحد من أئمة العلم ، بل هو تفسير منكر عقلا وشرعا ولغة " .(٢)

------

(١) الاعتقاد ص ٥١

(٢) أحمد بن تيمية - مجموع الفتاوى ١٦/ ٨٤ - ٨٥

الفصل الثاني ـ النبوات

المبحث الأول : صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

لقد اختار الله سبحانه وتعالى من عباده رجالا ، وحملهم رسالة سماوية وأمرهم بتبليغها الى البشرية لتهتدى الى افراد الله بالعبادة ولتتخلى عن كل ما عبد سواه ، فأرسلهم رحمة للعالمين ، وأيدهم بالمعجزات الباهرات لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة .

واقتضت حكمته سبحانه أن يجعلهم من البشر ليمكن اتصال بهم والتفاهم معهم فيما أتوا به من الهداية ، ولكن المشركين لم يكونوا ليؤمنوا بصحة نبوتهم بل أنكروها وعجبوا أن يكون الله قد اختصهم دون غيرهم لحمل الرسالة ، وتوقعوا أن يكون هؤلاء الرسل من جنس أعلى من البشر كالملائكة . ولذلك عانى الرسل من هؤلاء المعاندين مشقات كثيرة ، ولما كان العلماء مكلفين بحمل رسالة الأنبياء فقد تعرضوا لمثل ما تعرض له الأنبياء . ولقد أثار الشيخ عثمان موضوع النبوات في مؤلفاته العديدة وبين آرائه على النحو الآتي حيث يقول :

(يجب على كل مكلف أن يعلم أن رسله تعالى صادقون في كل ما أخبروا به ، ودليل صدقهم المعجزات ، وأنهم عليهم الصلاة والسلام أمناء ، ودليل أمانتهم أمر الله بالاقتداء بهم ، وأنهم عليهم الصلاة

والسلام قد بلغوا جميع ما أمروا بابلاغه للخلق) (١)

وقال أيضا (الصدق واجب للرسل عليهم الصلاة والسلام وضده الذى هو الكذب مستحيل عليهم ، والأمانة واجبة لهم عليهم الصلاة والسلام وضدها الذى هو الخيانة مستحيلة عليهم ، والتبليغ واجب لهم عليهم الصلاة والسلام وضده الذى هو الكتمان مستحيل عليهم ، ثم نعتقد بعد ما ذكرنا أن الكمال البشرى كله واجب لهم عليهم الصلاة والسلام والنقص البشرى كله مستحيل عليهم ، والذى يجوز لهم عليه الصلاة والسلام الأعراض البشرية التى لا تؤدى الى نقص) (٢)

يتبين لنا مما سبق أن الشيخ عثمان يؤمن بالرسل كما يؤمن أنهم معصومون عن كل ما يخل بالشرف من الأوصاف الرديئة كالكذب ، والخيانة ، والكتمان ، فالأوصاف الثلاثة التى ذكر أنها كلها واجبة للرسل هى مما يعين صاحبها على أداء مهمته للبشر على أكمل وجه ، فالصدق يورث الثقة فيما ينقله الرسل ، ويجعل النفس تطمئن الى سلامة أقوالهم وتقريراتهم . وبما أن الله قد أيدهم بالمعجزات فان هذه المعجزات تمثل أكبر برهان على صدقهم فى كل ما يبلغون عن الله ،

---

(١) عمدة البيان ص٤

(٢) معراج العوام ص٦-٧

فلو جاز الكذب عليهم لجاز الكذب على الله اذ تصديق الكاذب كذب،
والكذب مستحيل على الله سبحانه ولذا كان الأنبياء من خيرة البشر.
لقد عرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالصادق الأمين ، وشهد
له خصومه من قريش بذلك ، فعندما سأل هرقل - ملك الروم -
عن حال النبي صلى الله عليه وسلم من أبي سفيان ، وهو يومئذ لم
يزل كافرا ، أجابه أبو سفيان بأنه لم يكذب قط . فأفاد هذا أن صفة
الصدق لازمة للرسول . وعلى فرض أنهم يكذبون - حاشاهم - فلا
يتصور أن يقرهم الله عليه لما يترتب على ذلك من اضلال البشرية .
لقد ذكر الله في كتابه المنزل بأنه لا يمكن أن يقر رسله على الكذب
لو كذبوا أو تقولوا عليه ، وأنما يأخذهم أخذ عزيز مقتدر وفي ذلك
يقول الله تعالى : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه
باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين) (١)

فهذا الدليل يؤيد ما ذهب اليه ابن فودى من وجوب اتصاف الرسل
بالصدق ، فاذا تقرر ذلك فان اتصافهم بالكذب - وهو ضد الصدق -
مستحيل شرعا وعقلا .

---

(١) سورة الحاقة : ٤٤ - ٤٧

وأما الأمانة فهى أيضا من الصفات اللازمة للرسل ، فبما أن اللـه قد أمر الناس بالاقتداء بالرسل والاهتداء بهديهم ، فان ذلك يتضمن شهادة الله لهم بطهارة النفس ، والتنزه عن الخيانة ، اذ لا يتصور أن يأمر الله بالاقتداء بمن يتصف بصفة الخيانة . فقد جعل اللـــه طاعتهم جزءا من طاعته سبحانه فلزم أن يكونوا أمناء ، اذ لو جازت عليهم الخيانة لما سلمت الكتب السماوية من التحريف والتبديل ، فصح ما قاله ابن فودى أن الأمانة من أهم الأوصاف التى تجب أن يتصـــف بها الرسل عليهم الصلاة والسلام .

أما التبليغ فقد أثبته الله سبحانه وتعالى لرسله اذ يقول :

" الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله " (١)

ففيها ما يدل على أن الرسل لا يكتمون شيئا مما أمروا بتبليغه للناس ، ثم أن الله تعالى قد ذم الذين يكتمون الآيات وذكر أنهم يستحقـــون اللعن " ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مـا بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون" (٢)

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٩

(٢) سورة البقرة : ١٥٩

فلا يتصور بعد شهادة الله لرسله بالتبليغ أن يتواطئوا على كتمان الرسالة ، لأن الله أعلم بحالهم من الناس ومن أنفسهم .

أما العوارض البشرية كالأكل والشرب ، والنكاح والبيع والشراء والمرض والموت فكل ذلك جائز عليهم ، وهو ما اقتضته الحكمة الالهية اذ جعلهم من البشر يعيشون كما يعيش غيرهم من البشر ، ويتعرضون لمثل ما يتعرض له الانسان العادى ليسهل على الناس معاشرتهم والاختلاط بهم ، وليقيم الله الحجة على الناس فى الآخرة ، غير أن الأنبياء والرسل معصومون من الاصابة بالعيوب المنفرة التى لا تتلائم مع طبائع الناس .

خلاصة القول ان ما ذهب اليه ابن فودى موافق لما عليه أهل السنة والجماعة وهو ما يجب الايمان به فى حق الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم .

المعجــــزة

وبعد أن ثبت لدينا أن الأنبياء منزهون عن الكذب والخيانة وأنهم هم المثل العليا التى يجب الاقتداء بها فلم يبق الا النظر فيما جعله الله برهانا على صدق نبوتهم - وهو المعجزة .

يرى الشيخ عثمان بن فودى أن الله سبحانه وتعالى قد أيد رسـله بالمعجزات الدالة على صدق ما أتوا به من الشرائع ، كما يرى أن المعجزة غير الكرامة ، بل المعجزة هى عمل شئ خارق للعادة كاحياء ميت ، وانفجار الماء بين الأصابع على وفق التحدى . وأما ما لم يكن خارقا للعادة كطلوع الشمس كل يوم ، أو الخارق على خلافه كأن يدعى نطق طفل بتصديقه فينطق بتكذيبه فلا يكون معجزة .

وأما الكرامة ، فهى ما يجريها الله سبحانه وتعالى من الخوارق على يد الولى ، وهو العارف بالله المواظب على الطاعات ، المجتنـب للمعاصى ، المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات ، كجريان النيل بكتاب عمر رضى الله عنه ، ورؤيته - وهو على المنبر بالمدينة - جيشه بنهاوند حتى قال لأمير الجيش يا سارية الجبل ، محذرا له من وراء الجبل لكمين العدو هناك ، وسماع سارية كلامه مع بعد المسافة ، وغير ذلك مما وقع للصحابة وغيرهم. (١)

---

(١) أنظر هداية الطالبين ص ٦

فدل ذلك على أنه لا يشترط فى الكرامة التحدى ودعوى النبوة وان كان فيها خرق للعادة .

وقد تحصل خوارق العادات لمن ليسوا مسلمين فلا تكون كرامة ، وانما تكون كما قال بعضهم : (١)

اذا ما رأيت الأمر يخرق عـادة
فمعجزة ان من نبى لنا صدر

وان يك منه قبل وصف نبـــوة
فأرهاص سمّه تتبع القوم فى الأثر

وان جاء يوما من ولى فسمّـــه
كرامة فى التحقيق عند ذوى النظر

وان كان من بعض العوام صـدوره
فكنّوه حقا بالمعونة واشتهر

فمن فاسق ان كان وفق مــراده
فسمّ بالاستدراج فيما قد استقر

وفيما يلى أذكر طائفة من معجزات نبينا محمد صلى الله عليـــه وسلم كما وردت بها الأخبار المتواتـرة :

---

(١) أنظر توجيه الدعوة والدعاة للأستاذ آدم عبد الله ص ٨٧ ، الباجورى على جوهرة التوحيد ص ١٢٠

١ - لقد طلب كفار قريش من النبى صلى الله عليه وسلم آية تدل على صدق نبوته فانشق له القمر فرقتين ، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ، فقالت قريش : سحرنا محمد فسألت أهل البلاد الأخرى هل شاهدوا انشقاق القمر ، فأخبروا به كما رأوه ، ويدل على هذه المعجزة الخالدة قوله تعالى : " اقتربت الساعة وانشق القمر ، وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر " (١)

وأخرج البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه " أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر " (٢)

٢ - الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وقد خلد الله ذكرى الاسراء فى آيات تتلى الى يوم القيامة ، وهى قوله تعالى " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله .." (٣) كما وردت فيها أحاديث كثيرة منها ما رواه البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما :

---

(١) سورة القمر : ١ - ٢

(٢) متفق عليه رواه البخارى فى كتاب التفسير ج٣ ص١٩٥ ، ومسلم فى باب انشقاق القمر ج١٧ ص١٤٥

(٣) سورة الاسراء : ١

أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه (١) وقد أشار الشيخ عثمان الى هذه المعجزة بقوله " ونعتقد أن المعراج بجسد المصطفى صلى الله عليه وسلم الى السموات بعد الاسراء به الى بيت المقدس يقظة حق " (٢)

٣ ـ نبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، لقد أخرج البخاري أيضا عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أنه قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ فجهش (٣) الناس نحوه (٤) ، فقال ما لكم ؟ قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ ، ولا نشرب الا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا ، قيل لجابر : كم كنتم ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . (٥)

---

(١) رواه البخاري في باب حديث الاسراء

(٢) هداية الطالبين ص ١٢

(٣) بفتح الهاء وكسرها أي أسرعوا متهيئين لأخذ الماء .

(٤) بفتح الراء وبكسرها وبضمها ـ وهو ما يعد للماء .

(٥) رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب علامة النبوة جـ ٤ ص ٢٣٤ وسلم جـ ٥ ص ١٨٨ الامام أحمد ٣/٣٢٩

٤ ـ حنين جذع النخلة له صلى الله عليه وسلم وبكاؤه بصوت سمعه من في المسجد وذلك لما فارقه النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما كان يخطب عليه كمنبر له ، ولما صنع له المنبر وترك الصعود عليه بكى حنينا وشوقا اليه صلى الله عليه وسلم ولم يسكت حتى جاءه الرسول ووضع يده الشريفة عليه (١) .

٥ ـ والقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يعد معجزته العظمى وآية نبوته الخالدة ، وهو الدليل الناطق بصدق نبوته ، وقد تحدى الله العرب وهم أولوا الفصاحة والبلاغة ، وعجزوا عن الوفاء بما تحداهم الله به ، وقد مر التحدى بمراحل ثلاثة ففى المرحلة الأولى كان التحدى بأن يأتوا بمثل هذا القرآن كاملا ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

" قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " (٢) ثم انتقل التحدى الى ما هو أخف من الأول وهو أن يأتوا بعدد محدود من السور

---

(١) لقد روى الامام البخارى حديث حنين جذع النخله بروايات متعددة فى صحيحه منها انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه (صحيح البخارى جـ٤ ص ٢٣٧ مسند الامام أحمد جـ١ ص ٢٤٩ ، سنن الترمذى جـ٤ ص ٢٩٨

(٢) سورة الاسراء : ٨٨

بقوله تعالى " أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون " (١)

ثم كان التحدى بسورة واحدة فقط لقوله تعالى : " وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين " (٢)

ففى جميع هذه المراحل الثلاثة عجزوا ووقفوا حائرين أمام عظمة هذه المعجزة الربانية ، وكان لا بد لهم أن يعجزوا لأنه ليس من كلام البشر وانما هو وحى أوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم من رب العباد لهداية البشرية واذا كانت معجزات الأنبياء تنقضى بانقضاء حياتهم ، فان معجزة القرآن خالدة باقية أبد الدهر .

----

(١) سورة هود : ١٣ - ١٤

(٢) سورة البقرة : ٢٣

المبحث الثالث
المفاضلة بين الصحابة

ان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كلهم عدول ، وأولوا فضل ، عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهدوا التنزيل ، وآمنوا به ، وتمسكوا بهدى المصطفى عليه الصلاة والسلام ولم يزيغوا عنه قيد شبر ، وقد أثنى عليهم ربهم في كتابه العزيز بقوله " لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا " (١) ويقوله " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " (٢) والأحاديث الصحيحة التى وردت فى بيان عظم شأنهم والتحذير عن سبهم كثيرة متعددة منها قوله صلى الله عليه وسلم " لا تسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه " (٣)

ولقضية المفاضلة بين الصحابة أهميتها فى الفكر الاسلامى اذ هى

---

(١) سورة الفتح : ١٨
(٢) سورة آل عمران : ١١٠
(٣) رواه البخارى فى مناقب المهاجرين وفضلهم ج ٢ ص ٢٩٢

فى نتيجتها تنتهى الى وجوب محبتهم والكف عما شجر بينهم ، والوقوف على أيهم أولى بالتقديم للخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد أثار ابن فودى مسألة المفاضلة بين الصحابة الكرام رضوان الله عليهم مستشهدا بالأدلة النقلية وملتزما مذهب السلف فى ترتيب درجاتهم حسب توليهم الخلافة والاحداث الهامة فى التاريخ الاسلامى ، فجعل أبا بكر الصديق فى المرتبة الأولى ثم عمر بن الخطاب فعثمان بن عفان فعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم جميعا ثم يليهم فى المرتبة الباقون من العشر المبشرين بالجنة ، وهم طلحة ، والزبير ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نوفل ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ويدعم هذا الرأى بما رواه أصحاب السنن وصححه الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عشرة فى الجنة ـ أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعثمان وعلى والزبير وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة ، وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد . (١)

ثم يليهم فى المرتبة أهل بدر وعدتهم ثلاثمائة وبضعة عشر نفر

---

(١) أنظر هداية الطالبين ص ٢٠ - ٢٢

لحديث " لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم " (١) ولما رواه ابن ماجه عن رافع بن خديج قال : جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما تعدون من شهد بدرا فيكم ؟؟ قال خيارنا ، قال كذلك هم عندنا خيار الملائكة . (٢)

ثم يليهم الصحابة الذين شهدوا غزوة أحد ، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية لما ورد فى حقهم من قوله صلى الله عليه وسلم " لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة " (٣) ثم سائر الصحابة أفضل من غيرهم لأنهم خير قرون بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

-----

(١) متفق عليه ، رواه البخارى فى كتاب المغازى ومسلم فى كتاب فضائل الصحابة ٦/١٦

(٢) رواه ابن ماجة فى باب فضل أهل البدر ج١ ص٥٧

(٣) رواه الترمذى فى أبواب المناقب ج١٣ ص٣ ٢٤

الفصل الثالث ـ السمعيات

ان المقصود بالسمعيات هو المعتقدات التي لا يتوصل الى معرفتها الا عن طريق الاخبار عن صاحب الشرع فقط ، لأن معظم احداثها لم يقع بعد ، ولم يزل محجوبا عن الادراك البشرى ، فكل ما سبق ذكره من موضوع الالهيات والنبوات ـ ما عدا الصفات الخبرية ونحوها ـ فانه يثبت بالعقل والسمع معا ، أما الأمور التي تتعلق بالآخرة كأحوال ما بعد الموت ، واشراط الساعة وحشر الاجساد للحساب وما أشبه ذلك فهي لا تثبت الا عن طريق السمع فقط ، فلو لم يخبرنا عنها صاحب الشرع لما كان للعقل البشرى أى سبيل الى تصورها والايمان بها . وفيما يلي من الفصول نستعرض موقف الشيخ عثمان بن فودى من مسائل السمعيات ورأيه فيها .

المبحث الأول : عذاب القبر ونعيمه

يعتقد الشيخ عثمان ان عذاب القبر حق وان العذاب يشمل الروح والجسد معا ويسوق الأدلة الشرعية لاثبات ذلك فيقول : (نعتقد ان عذاب القبر للكافر والفاسق المراد تعذيبه بأن ترد الروح الى الجسد أو ما بقى منه حق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاب

القبر حق ...(١) ومر على قبرين فقال انهما ليعذبان (٢))

فالحديثان اللذان أوردهما ابن فودى من أصح الأحاديث فى هذا الموضوع ، أما الحديث الأول فانه يفيد أن اليهود كانوا يؤمنون بعذاب القبر وكانوا يتعوذون منه ومن أهواله ، وعندما سألت السيدة عائشة رضى الله عنها النبى صلى الله عليه وسلم لتتعرف على موقف الاسلام منه جاء جواب النبى صلى الله عليه وسلم مؤكدا انه حقيقة ثابتة يجب الايمان بها . وأما الحديث الثانى ، فانه يتضمن بيان الأسباب التى من أجلها استحق صاحبا القبرين العذاب ، فأحدهما كان يمشى بين الناس بالنميمة ويوقع بينهم العداوة والبغضاء ، وأما الآخر فكان يترك الاستبراء من البول حتى صار عادة له ولا شك أنه

---

(١) هداية الطالبين ص ٦ - ٧ هكذا ورد فى المخطوط وتمام الحديث عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية دخلت عليها فقالت نعوذ بالله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : نعم عذاب القبر حق - رواه البخارى

(٢) وأما تمام الحديث الثانى كما رواه الامام مسلم والبخارى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله ، فدعا بعسيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ، ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وفى رواية لا يستتر عن البول أو من البول .

لا يصح الوضوء مع عدم التنزه من البول ، فاذا كان هذا من الأمور التى يترتب عليها عذاب القبر ، فان ترك الواجبات وانكار المعلوم من الدين بالضرورة يكون سببا لعذاب أشد ، وسنذكر مزيدا من الأحاديث الصحيحة فى هذا الموضوع وهذا الذى ذهب اليه ابن فودى هو ما عليه جمهور العلماء والسلف الصالح .

يقول الامام القرطبى (١) " الايمان بعذاب القبر وفتنته واجب والتصديق به لازم حسب ما أخبر به الصادق ، وان الله تعالى يحى العبد المكلف فى قبره برد الحياة اليه ويجعل له من العقل فى مثل الوصف الذى عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه ويجيب به ، ويفهم ما آتاه من ربه وما أعد له فى قبره من كرامة أو هوان ، وبهذا نطقت الأخبار عن النبى المختار صلى الله عليه وسلم وهذا مذهب أهل السنة والذى عليه الجماعة من أهل الملة " (٢)

وقال شارح العقيدة الطحاوية " وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن

---

(١) هو الامام الحافظ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج الانصارى القرطبى المتوفى ٦٧١ هـ

(٢) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ص ١٢٤

جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة ، واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر ، أكلته السباع ، أو احترق حتى صار رمادا أو نسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل الى روحه وبدنه من العذاب ما يصل الى المقبور " (١)

وقال العلامة ابن قيم الجوزية بعد أن أورد أقوال العلماء في الروح والجسد ووقوع العذاب عليهما أو على أحدهما قال : " فاذا عرفت هذه الأقوال الباطلة فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت اذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وان ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانا ، ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح الى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين " (٢)

وقد أنكرت المعتزلة والجهمية عذاب القبر وحجتهم عدم مشاهدتهم تألم الميت ، وقالوا لو وضع على بطن الميت شيئا لم يقع فلو انه تحرك

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٨

(٢) ابن قيم الجوزية كتاب الروح ص ٨٧

للعذاب أو غيره لتحرك ذلك الشيء عن مكانه ، فكيف يقال ان الملكين يجلسانه ويسألانه ، ونحن نفتح القبر فنجد لحده ضيقا ونجد مساحته على ما حفرناها لم يتغير علينا فكيف يسعه ويسع الملائكة السائلين له .(١)

وللجواب على هذه الشبهة نقول : قلنا بادىء ذى بدء ان قضايا السمعيات مما لا تدركها العقول البشرية المجردة ، وان الله سبحانه وتعالى كامل التصرف فى مخلوقاته ، وليس بعزيز عليه أن يلحق بالميت من العذاب أو النعيم مالا يدركه أو يشعر به الاحياء ، فالنائم - على سبيل المثال - قد يرى فى منامه ما يسر به أو يتألم منه من دون أن يحس به من بجواره من الناس ، بل وقد نجد نائمين على فراش واحد روح أحدهما فى نعيم ويستيقظ من نومه وأثر النعيم ظاهر على بدنه ، والآخر روحه فى عذاب ويستيقظ من نومه وامارات العذاب ظاهرة على بدنه وليس عند أحدهما خبر ما عند الآخر ، فالذى يبدو للناظر أن القبر مجرد تراب ولكن باطن القبر فى الحقيقة اما عذاب مقيم واما جنة نعيم ، فيجب الايمان به والكف عن البحث فى كيفيته أو الحكم باستحالة وقوعه .

---

(١) أنظر اليواقيت والجواهر جـ ٢ ص ١٣٩ ، التذكرة ص ١٢٥ ، مقالات الاسلاميين جـ ٢ ص ١١٦

وقد دلت النصوص الثابته والآثار الصحيحة على أن القبر اما روضة يتنعم فيها صاحبها واما حفرة يتألم فيها أهلها من شدة العـذاب - والعياذ بالله . وفيما يلى نذكر طائفة من هذه الأدلة :

يقول الله تعالى حكاية حال آل فرعون : " النار يعرضون عليهـا غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب (سورة غافر آية ٤٦) . اذا كانت أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء ، ولهم بعد ذلك أشد العذاب يوم القيامة علم أن العرض المذكـور سيكون فى القبر ، لذلك قال ابن كثير " هذه الآية أصل كبير فـى استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور " (١)

وقوله تعالى : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيـاة الدنيا وفى الآخرة " (٢) فان المقصود بالتثبيت فى الحياة الدنيا هـو الاستقامة على الدين والذود عنه رغم ما يعترضهم من التحديات والأفكار الهدامة التى تكاد تميل بهم الى الضلال ، وأما تثبيتهم فى الآخـرة فذلك حين يسألون فى قبورهم كما جاء فى الصحيحين عن البراء بـن

---

(١) الحافظ عماد الدين ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٨١

(٢) سورة ابراهيم : ٢٧

عازب " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت " نزلت فى عذاب القبر. (١)

وقوله تعالى : " فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ، يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون ، وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون " (٢)

وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره فى الدنيا ، وأن يراد به عذابهم فى البرزخ وهو أظهر ، لأن كثيرا منهم مات ولم يعذب فى الدنيا " (٣)

وقوله تعالى : " ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا .. " (٤)

قيل ان المراد به عذاب القبر .

كما دلت الأحاديث الصحيحة على اثبات عذاب القبر لمستحقيه منها الحديثان الصحيحان اللذان سبق ذكرهما ، ومن أحاديث هذا الباب ما رواه الامام مسلم فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فلولا أن تدافنوا لدعوت الله

---

(١) رواه مسلم فى باب اثبات عذاب القبر و التعوذ منه ج١٧ ص٢٠٤ والبخارى فى باب ماجا فى عذاب القبر ج١ص٢٣٨

(٢) سورة الطور : ٤٥ - ٤٧

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٤

(٤) سورة طه : ١٢٤

أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه .(١)

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان أهل القبور يعذبون فى قبورهم عذابا تسمعه البهائم .(٢)

ومنها ما أخرجه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال " .(٣)

---

(١) رواه مسلم فى باب اثبات عذاب القبر والتعوذ منه ج ١٧ ص٢٠٤ والامام أحمد فى مسنده ١٠٣/٣

(٢) رواه الامام البخارى فى باب التعوذ من عذاب القبر ج٤ص١٠٨

(٣) رواه البخارى فى باب التعوذ من عذاب القبر ج٤ ص١٠٨

المبحث الثاني : أشراط الساعة

يعتقد الشيخ عثمان أنه لابد لهذه الحياة الدنيا من نهاية تنتهي إليها وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر بعض العلامات والأمارات التي يعرف بها قرب قيام الساعة ، وقد ألف كتابا خصصه لذكر أمور الساعة ، وما يتقدمها من الأحداث يقول الشيخ عثمان في مقدمة الكتاب ما نصه :

(أما بعد : فهذا كتاب تنبيه الأمة على قرب هجوم أشراط الساعة وأن بعضها قد ظهرت كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، ومقصودنا في تنبيههم على قرب تلك الأشراط حثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة قبل أن يحال بينهم وبين تدارك ما فرط منهم وليقطعوا عن الدنيا ويستعدوا للساعة الموعود بها ، اذ تلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها) (١)

ويؤكد الشيخ عثمان أن الله سبحانه وتعالى قد استأثر بعلم موعد الساعة فأخفاه عن المخلوقات فلا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، ويحكم

---

(١) تنبيه الأمة على قرب هجوم أشراط الساعة (مخطوط) ص ١-٢

على ما ورد فى بعض الآثار فى تعيين وقت الساعة أو تحديد وقت أشراطها بالبطلان فيقول : (أما بيان وقت وقوع الساعة وأشراطها فلا يعلمه الا الله ، فقد جاء فى حديث جبريل عليه السلام " ما المسئول عنها بأعلم من السائل " (١) فان قيل ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الساعة فقال " ما المسئول عنها بأعلم من السائل فهذا يدل على أنه لم يكن عنده علم بوقت وقوعها ، وروى أنه قال : " بعثت أنا والساعة كهاتين " (٢) وهذا يدل على أنه كان عالما بذلك فكيف يأتلف الخبران ؟؟ فالجواب أن القرآن قد نطق بقول الحق " قل انما علمها عند ربى " (٣) فلم يكن يعلمها هو ولا غيره . وأما قوله " بعثت أنا والساعة كهاتين " فمعناه أنا النبى الأخير ، فلا يليني نبى آخر ، وانما تلينى القيامة كما تلى السبابة الوسطى ليس بينهما أصبع أخرى وهذا لا يوجب أن يكون له علم بالساعة نفسها ، وهى مع ذلك دانية لأن أشراطها متتابعة ومع كونها دانية قال العلماء رضى الله

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الايمان ، باب بيان الايمان ، وابن ماجه فى باب أشراط الساعة جـ ٢ ص ١٣٤٢

(٢) متفق عليه ، أخرجه الامام مسلم فى كتاب الفتن باب قرب الساعة جـ ١٨ ص ٨٩ ، وابن ماجه جـ ٢ ص ١٣٤١

(٣) سورة الاعراف : ١٨٧

عنهم لم يروا قط حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تعيين وقت وقوع الساعة ولا فى تعيين وقت أشراطها) (١)

فالايمان بقرب قيام الساعة واجب شرعا وهو ما عليه جمهور أهل العلم ، واخفاء العلم بوقت وقوعها عن الناس انما هو لحكمة بالغة ، ولا يلزم من هذا الاخفاء الحكم باستحالة وقوعها اقرأ قوله تعالى :

" ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون " (٢)

" اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون " (٣)

" قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها " (٤)

لقد أورد الشيخ عثمان بعض أشراط الساعة الصغرى بأدلتها الشرعية وبين أنها قد وقعت بالفعل فمن ذلك :

---

(١) تنبيه الأمة على قرب هجوم أشراط الساعة ص ٩ - ١٠

(٢) سورة غافر : ٥٩

(٣) سورة الأنبياء : ١

(٤) سورة الانعام : ٣١

١ ـ قلة العلم وظهور الجهل والزنا وكثرة النساء وقلة الرجال .

وذلك لما رواه البخارى فى صحيحه " ان من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد "(١)

٢ ـ اسناد الأمور الى غير أهلها وتطاول البنيان .

واستدل على ذلك بما أخرجه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم ، اذ جاء اعرابى فقال : متى الساعة ؟؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم بل لم يسمع ما قال ، حتى اذا قضى حديثه قال : أين السائل عن الساعة ؟ قال : ها أنا ذا يارسول الله ، قال : اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال : كيف اضاعتها قال : اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة(٢) كما ورد أيضا فى حديث البخارى أن الساعة لا تقوم حتى

---

(١) رواه ابن ماجه فى باب اشراط الساعة جـ ٢ ص ١٣٤٣

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة .

يتطاول الناس في البنيان . ثم عقب الشيخ عثمان على هذين الحديثين قائلا : (وكل ما ذكر في هذين الحديثين قد ظهر عيانا) (١) ثم ساند هذا القول بما نقله عن القرطبي في التذكرة (قال علماؤنا رحمة الله عليهم ، ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب قد ظهر وشاع في الناس فوسد الأمر الى غير أهله ، وصار رؤوس الناس أسافلهم ، فيملكون البلاد والحكم فيها ، فيجمعون الأموال ويطيلون البنيان كما هو مشاهد في هذه الأزمان) (٢)

٣ - ظهور الدجالين وقد جاء عددهم معينا في حديث حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من أمتي دجالون كذابون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة وأنا خاتم النبيين لانبي بعدي" (٣)

قد ظهر بالفعل دجالون كثيرون وفيهم نسوة ولكن لا ندري هل تم العدد الذي ورد في الحديث أو لم يتم .

---

(١) تنبيه الأمة ص ١٩

(٢) التذكرة ص ٦٤٣

(٣) رواه الامام أحمد ٥/٣٩٦ ، أنظر تنبيه الأمة ص ٢٠

٤ - تقديم العجم على العرب في الدولة ، وقد وقع ذلك كما أخبر به عليه الصلاة والسلام بقوله : " ويل للعرب من شر قد اقترب "(١) ففيه أخبار بما يكون بعده من أمر العرب وما يستقبلهم من الويل والحرب وقد وجد ذلك بما استؤثر عليهم من الملك والدولة والأموال والامارة وصار ذلك في غيرهم من العجم ، وتشتتوا في البوادى بعد أن كان العز والملك والدنيا لهم (٢) وقال ابن حجر رحمه الله تعالى تعليقا على هذا الحديث (انما خص العرب بالذكر لأنهم أول من دخل في الاسلام ، وللانذار بأن الفتن اذا وقعت كان الهلاك أسرع اليهم "(٣)

ثم أورد الشيخ عثمان حديث حذيفة بن اليمان الذى يتضمن ذكر اثنين وسبعين خصلة من علامات قرب الساعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم " اذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة ، وأضاعوا الأمانة ، وأكلوا الربا ، واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدماء ، واستعلوا البناء وباعوا الدين بالدنيا ، وتقطعت الأرحام ويكون الحلم

---

(١) رواه البخارى ومسلم في كتاب الفتن واشراط الساعة

(٢) تنبيه الأمة ص ٢١

(٣) فتح البارى جـ ١٦ ص ١١٧

ضعفا ، والكذب صدقا ، والحرير لباسا ، وظهر الجور ، وكثر الطلاق ، وموت الفجاءة ، وائتمن الخائن ، وخون الأمين وصدق الكاذب ، وكذب الصادق ، وكثر القذف ، وكان المطر قيظا ، والولد غيظا وفاض اللئام فيضا ، وغاض الكرام غيضا ، وكان الأمراء والوزراء كذبة ، والأمناء خونة ، والعرفاء ظلمة ، والقراء فسقة ، اذا ألبسوا مسوك الضأن ، قلوبهم أنتن من الجيفة ، وأمر من الصبر ، يغشيهم الله فتنة ، يتهاوكون فيها تهاوك اليهود والظلمة ، وتظهر الصفراء وتطلب البيضاء ـ يعني الذهب والفضة ـ وتكثر الخطباء ، ويقل الأمر بالمعروف وحليت المصاحف ، وصورت المساجد ، وطولت المنابر ، وخربت القلوب ، وشربت الخمور ، وعطلت الحدود ، وولدت الأمة ربتها ، وترى الحفاة العراة صاروا ملوكا ، وشاركت المرأة زوجها في التجارة ، وتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وحلف بغير الله ، وشهد المرء من من غير أن يستشهد ، وسلم للمعرفة ، وتفقه لغير الله ، وطلبت الدنيا بعمل الآخرة ، واتخذ المغنم دولا[1] والأمانة مغرما ، وكان

---

(١) بضم الدال وفتح الواو ، ما يتداول من المال ، اذا اختص الأغنياء وأرباب المناصب بأموال الفيء ومنعوها مستحقيها من الناس .

زعيم القوم أرذلهم ، وعق الرجل أباه ، وجفى أمه ، وبرّ صديقه ، وأطاع امرأته ، وعلت أصوات الفسقه فى المساجد ، واتخـذت القينات والمعازف ، وشربت الخمور فى الطرق ، واتخذ الظلم فخرا ، وبيع الحكم ، وكثرت الشرط واتخذ القرآن مزامير ، وجلود السباع صفاقا ، والمساجد طرقا ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا وقذفا " وهذه الخصال كلها قد ظهرت عيانا .(١)

٥ - الزلازل والخسوفات :

يقول الشيخ عثمان : (وأما وقوع الزلازل التى عدت من أشـراط الساعة فى الأحاديث النبوية كقوله عليه الصلاة والسلام فى ذكـر أشراط الساعة " وتكثر الزلازل "(٢) وكقوله فى حديث حذيفة رضى الله عنه ان الساعة لا تكون حتى تروا عشر آيات ، خسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب والدخان ، والدجال ، ودابة الأرض ، ويأجـوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل

---

(١) تنبيه الأمة ص ٢٥ - ٢٧

(٢) رواه البخارى فى كتاب الفتن جـ ٤ ص ٢٣١

الناس وقال بعض الرواة فى العاشرة ونزول عيسى بن مريم وقال بعضهم وريح يلقى الناس فى البحر (١) فان هذا الخسف المذكور فى هذا الحديث قد وقع كما أخبر به عليه الصلاة والسلام (٢) ، وقال القرطبى فى التذكرة ، " وقد وقع ذلك عندنا بشرق الاندلس فيما سمعنا من بعض مشائخنا " (٣)

ثم شرع الشيخ عثمان فى ذكر الفتن التى عدها من اشراط الساعة وأنها قد وقعت ، فمن تلك الفتن مقتل عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، ووقعة الجمل وصفين ، ومقتل الحسين (٤) .

وأما وقعة الجمل وصفين فقد دل عليهما الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :" لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعواهما واحدة " (٥)

وأما اشراط الساعة الكبرى فقد ذكر الشيخ عثمان منها خروج المهدى رضى الله عنه وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج ياجوج وماجوج ورفع القرآن ، وخروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الفتن واشراط الساعة جـ ١٨ ص٢٨-٢٩ وابن ماجه فى باب الآيات جـ ٢ ص ١٣٤٧

(٢) تنبيه الأمة ص ٢٩

(٣) التذكرة ص ٦٥٤

(٤) تنبيه الأمة ص ٣٣

(٥) رواه البخارى فى كتاب الفتن جـ ٤ ص ٢٢١

المهـــدى (١)

يذهب الشيخ عثمان الى أن خروج المهدى أمر مقطوع به لأن الأحاديث قد تواترت بذلك (٢) ويرد على قول بعض العلماء أن زمان المهدى

---

(١) اشتهر بين الفرق الاسلامية أنه لا بد من ظهور رجل من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم فى آخر الزمان يقوم الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويسمى المهدى ، يستدل أهل السنة والجماعة بالأحاديث التى وردت فى كتب السنن فى اثبات ظهور المهدى ، أما الشيعة فانهم يعتقدون أن المهدى قد ظهر وهو محمد بن الحسن العسكرى وهو آخر أئمتهم الاثنى عشر ويزعمون أنه دخل السرداب فى دار أبيه " بسرمن رأى " وأنه لم لم يزل حيا وأنه لا بد من ظهوره فى آخر الزمان (الفرق بين الفرق ص ٦٤ ، الملل والنحل جـ ١ ص ١٦٩)

وقد ترددت الأنباء عن ظهور المهدى فى كثير من البلدان الاسلامية بين حين وآخر ولا يكاد يخلو عصر عن دعوى خروج المهدى وممن ادعى المهدى ابن تومرت الذى عاش فى بلاد المغرب وسمى أصحابه بالموحدين وكان يقال له فى خطبهم الامام المعصوم المهدى المعلوم الذى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما (منهاج السنة جـ ٤ ص ٢١٣) .

(٢) الخبر الهادى الى أمور الامام المهدى (مخطوط) ص ١ ، تحذير الاخوان من ادعاء المهدية الموعودة آخر الزمان (مخطوط ص ١) ولم يذكر شيئا من الأحاديث الذى قال انها قد تواترت فى أمر خروج المهدى ، وها أنا أذكر طائفة من الاحاديث =

قد انقضى أو أنه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فيقول : (الصواب ان المهدى رضى الله عنه متأخر الى وقت خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام " (١) كما يقرر أن المهدى سيكون من عترة النبى صلى الله عليه وسلم من ذرية فاطمة رضى الله عنها وينفى بشدة

= الواردة فى ذلك ، منها ما أخرجه أبو داود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه " لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول اللـه ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتى يملأ الدنيا قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا " وقوله صلى الله عليه وسلم " المهدى منا آل البيت يصلحه الله فى ليلة " رواه أحمد وابن ماجه باسناد حسن وقد نص كثير من العلماء على تواتر أحاديث المهدى ، يقول الشيخ محمد البرزنجى فى كتابه الاشاعة فى اشراط الساعة ما نصه " الباب الثالث فى الاشراط العظام والامارات القريبة التى تعقبها الساعة وهى أيضا كثيرة فمنها المهدى وهو أولها واعلم أن الاحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر (الاشاعة لاشراط الساعة ص ٨٧) .

وقال العلامة السيد محمد صديق حسن ما نصه (والاحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرة جدا تبلغ حد التواتر ، وهى فى السنن وغيرها من دواوين الاسلام من المعاجم والمسانيد (الاذاعة لما كان ويكون بين يدى الساعة ص ١١٢)

وقال أيضا (لا شك فى أن المهدى يخرج فى آخر الزمان من غير تعيين الشهر وعام لما تواتر من الأخبار فى الباب واتفق عليـه جمهور الأمة سلفا عن خلف الا من لا يعتد بخلافه (ص ١٤٥)

(١) الخبر الهادى ص ٢

أن يكون هو المهدى فيقول : (.. وان كونه شريفا أمر مقطوع به وان كونه من ذرية فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم هو الصحيح الذى عليه الجمهور " (١) وقال أيضا " اعلموا أنى لست بالامام المهدى ولا ادعيت المهدية ، انما يسمع ذلك من أفواه الناس وقد بالغت فى تحذيرهم من ذلك ، وقد صرحت برد ذلك فى بعض تواليفى العربية والعجمية ، كيف ادعى المهدية وقد ولدت فى بلاد السودان فى مكان يسمى مرت وقد عرف فى الأحاديث النبوية أن المهدى يولد بالمدينة ، كيف ادعى المهدية ولم يواطىء اسمى اسم النبى محمد صلى الله عليه وسلم اذ اسمى عثمان ولم يواطىء اسم أبى اسم أبيه ، اذ اسم ابى محمد وقد عرف فى الاحاديث النبوية أن المهدى يواطىء اسمه اسم النبى صلى الله عليه وسلم ويواطىء اسم أبيه اسم أبيه ، كيف ادعى المهدية وقد عرف أن كثيرا من صفاتى كانت مخالفة لما ورد فى صفات المهدى من الأحاديث وآثار الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، وهذا ميزان قسط فى ابطال مهدية كل من ادعاه " (٢) ثم تحدث عن بيان علامة خروج المهدى ومن أين يخرج وانتهى الى عدم ثبوت شىء من الأدلة فى ذلك وان ما أورده

---

(١) تحذير الاخوان ص ١

(٢) نفس المرجع ص ٣ - ٥

القرطبى فى التذكرة من أن المهدى يخرج من المغرب الأقصى فى قصة طويلة لا أصل له ، بل ان وقت خروج المهدى لا يعلمه الا الله عز وجل .(١)

ب - خروج الدجال

تناول الشيخ عثمان الحديث عن خروج الدجال من خمسة أوجه ، أولها علامة خروجه ، وثانيها مكان خروجه ، ثالثها بيان حجة من قال أن الدجال هو ابن الصياد ، وحجة من قال أنه غيره ، رابعها بيان أنه يجول فى البلاد كلها الا مكة والمدينة ، وخامسها بيان ما ينجى من فتنة الدجال . وأما علامات خروج الدجال فقد ذكر ابن فودى منها :

أ - كثرة الفتن والقتل . واستدل على ذلك بما رواه الطبرانى عن أسماء بنت يزيد ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر عنده الدجال فقال : ان قبل خروجه ثلاثة أعوام تمسك السماء فى العام الأول

---

(١) تنبيه الأمة ص ٤٨ - ٤٩ أنظر التذكرة ص ٦١٧

ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها ، والعام الثاني تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها والعام الثالث تمسك السماء قطرهـــا والأرض نباتها لا تبقى ذات ضرس ولا ذات ظلف الا مات (١) ، وفي بعض الروايات بعد قوله " وفي السنة الثالثة يمسك الله المطر وجميع النبات فما تنزل من السماء قطرة ولا تنبت من الأرض خضرة حتى تكون الأرض كالنحاس والسماء كالزجاج فيبقى الناس يموتون جوعا وجهدا وتكثر الفتن والهرج فعند ذلك يخرج الملعون الدجال من ناحية أصبهان (٢)

ب ـ وذكر من علامة خروج الدجال أيضا فتح القسطنطينية واستدل الشيخ عثمان بما نقله عن القرطبي " ان الخبر ورد أن بين خروج الدجال وفتح القسطنطينية سبعة أشهر " (٣)

وأما بيان خروج الدجال فقد توصل الشيخ عثمان الى أن خروجه من ناحية أصبهان ثم يخرج الى الحجاز فيما بين العراق والشام وذلك جمعا بين الآثار التى وردت أن الدجال يخرج من أرض

---

(١) أى لا تبقى دابة ذات حافر كالبقر والغنم الا ويموت

(٢) تنبيه الأمة ص ٥٠ ـ ٥١ والحديث رواه ابن ماجه فى سننه جـ٢ ص ١٣٥٩ - ١٣٦٣

(٣) التذكرة ص ٦٦١

المشرق من ناحية خراسان (١) ، وفى رواية من ناحية أصبهان (٢) ،

وفى رواية بين الشام والعراق .

وأما بيان حجة من قال أن الدجال هو ابن الصياد فهو لما رواه

مسلم عن محمد بن المكندر قال : رأيت جابر بن عبد الله يحلف

بالله ان ابن الصياد الدجال ، فقلت له أتحلف بالله قال ،

انى سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبى صلى الله عليه وسلم

فلم ينكره النبى صلى الله عليه وسلم . (٣)

وأما حجة من قال ان الدجال غير ابن الصياد فهى فى حديث

تميم الدارى الذى رواه ابن ماجه عن فاطمة بنت قيس رضى الله

عنها قالت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد المنبر

وكان لا يصعد عليه مثل ذلك الا يوم الجمعة فاشتد ذلك على

الناس من بين قائم وجالس فأشار اليهم بيده أن اقعدوا فانى

والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن تميم الدارى أتانى فأخبرنى

خبرا منعنى القيلولة من الفرح وقرة العين ، وأحببت أن أخبركم

---

(١) رواية الترمذى

(٢) رواية مسلم وابن ماجه . وقد روى الامام مسلم من حديث أنس بن مالك انه تتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا جـ ١٨ ص ٨٥

(٣) رواه مسلم فى كتاب الفتن باب ذكر ابن صياد جـ ١٨ ص ٥٢ وابو داود فى كتاب الملاحم ج ٤ ص ١٢١

فرح نبيكم صلى الله عليه وسلم : ألا أن تميما الدارى أخبرنى أن الريح ألجئتهم الى جزيرة لا يعرفونها فقعدوا فى قوارب السفينة فخرجوا بها ، واذا هم بشئ أهلب أسود ـ أى كثيرة الشعر غليظة لا يدرون ما قبله من دبره ـ قالوا : من أنت ؟ قالت أنا الجساسة (١) ، قالوا أخبرينا ، قالت : ما أنا بمخبرتكم شيئا ولا سائلتكم ولكن هذا الدير قد رهقتموه ، فأتوه فان فيه رجلا تخبروه ويخبركم ، فأتوه ، فدخلوا عليه فاذا هم بشيخ موثق شديد الوثاق ، يظهر الحزن ، شديد التشكى ، فقال لهم : من أين ؟ قالوا : من الشام ، قال ما فعلت العرب ؟ قالوا نحن قوم من العرب ، عم تسأل ؟ قال : ما فعل الرجل الذى خرج فيكم ؟ قالوا خيرا ، أتى قوما ، فأظهره الله عليهم ، فأمرهم اليوم جميع ، إلا همهم واحد ، ونبيهم واحد ودينهم واحد ... ثم قال لو انفلتت من وثاقى هذا لم أدع أرضا الا

---

(١) سميت بالجساسة لتجسسها الأخبار للدجال ، وقد روى الامام مسلم حديث الجساسة بطوله وجاء فيه " .. انى أنا المسيح وانى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فاخرج فأسير فى الأرض ، فلا أدع قرية الا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدا منهما استقبلنى ملك بيده السيف يصدنى عنها وان على كل نقب منها ملائكة يحرسونها (صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ٨٣)

وطئتها برجلى هاتين الا طيبة ليس لى عليها سبيل . قال النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا انتهى فرحى ، هذه طيبة ، والذى نفسى بيده ما فيها طريق ضيق ولا واسع ، ولا سهل ولا جبل الا وعليه ملك شاهر سيفه الى يوم القيامة .(١)

ثم أورد ابن فودى أقوال العلماء فى ابن الصياد فقال (والصحيح أن ابن الصياد هو الدجال ، ولا يبعد أن يكون فى الجزيرة فى ذلك الوقت ويكون بين أظهر الصحابة فى وقت آخر).(٢)

قال الشيخ محمد أنور شاه الكشميرى الهندى :

(وقد ذهب بعض العلماء الى أن ابن الصياد هذا هو الدجال الأكبر ، وهو وَهمٌ من قائله ، اذ الدجال لا يدخل المدينة وابن الصياد قد ولد فيها ، والدجال لا يدخل مكة وابن الصياد قد حج ودخل مكة ، والدجال يخرج وهو شاب قطط وابن صياد قد مات فى عصر الصحابة وشهدوا وفاته فلا يصح أن يقال هو الدجال الأكبر)(٣)

---

(١) تنبيه الأمة ص ٥٤ - ٥٦ والحديث رواه ابن ماجه فى كتاب الفتن جـ ٢ ص والامام أحمد ٦/٣٧٣

(٢) نفس المرجع ص ٥٩

(٣) التصريح بما تواتر فى نزول المسيح ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ص ١٨٥

وقال الشيخ على القارئ فى" المرقاة شرح المشكاة " (قال بعض المحققين الوجه فى الأحاديث الواردة فى ابن الصياد مع ما فيها من الاختلاف والتضاد أن يقال أنه صلى الله عليه وسلم حسبه الدجـال قبل التحقيق بخبر المسيح الدجال ، فلما أخبر به من شأن قصته فى حديث تميم الدارى ووافق ذلك ما عنده تبين له صلى الله عليه وسلم أن ابن الصياد ليس بالذى ظنه - أى ليس هو الدجال الأكبر) (١) .

وقال الامام البيهقى (ان الدجال الأكبر الذى يخرج فى آخر الزمان غير ابن صياد ، وان كان ابن صياد أحد الدجالين الكذابين الذين أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بخروجهم) (٢) وبهذا يتبين أن الصواب هو ما قرره جمهور العلماء من أن الدجال ليس هو ابن الصياد المذكور فى الآثار .

كما يعتقد الشيخ عثمان (ان ما ينجى من فتنة الدجال حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف مستندا فى ذلك على ما رواه مسلم عن

---

(١) المرقاة شرح المشكاة جـ ٥ ص ٢٢٠

(٢) مختصر لوامع الأنوار البهية ص ٣٥٩

أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال " (١)

وفى رواية " وان من فتنته أن معه جنة ونارا ، فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليستغيث بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على ابراهيم " (٢)

ووجه تخصيص فواتح سورة الكهف بالقراءة يرجع الى ما فى قصة أهل الكهف من العجائب والخوارق . فمن عرفها لم يستغرب أمر الدجال ، فلا يفتن به .

جـ - نزول عيسى عليه السلام

يرى الشيخ عثمان أن من أشراط الساعة الكبرى نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان مجددا للشريعة المحمدية ولا ينزل بشريعة جديدة ، وأنه يمكث أربعين سنة على الرواية الصحيحة (٣) ، وقد ثبت

---

(١) رواه أحمد ، ومسلم وأبو داود فى كتاب الملاحم ج ٤ ص ١٦٦

(٢) تنبيه الأمة ص ٦٢ والحديث رواه مسلم فى باب ذكر الدجال ج ١٨ ص٦٤

(٣) نفس المرجع .

نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فقوله تعالى :

" وان من أهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته " (١) أى أن أهل الكتاب يؤمنون بعيسى عليه السلام قبل موته عندما ينزل قرب الساعة فلا يبقى أحد منهم الا ويؤمن به . وأما الحديث ، فقوله صلى الله عليه وسلم :

" والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية " (٢)

ويبين الشيخ عثمان حكمة نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان بما نقله عن القرطبى في التذكرة اذ يقول : (فان قيل فما الحكمة فى نزوله فى ذلك الوقت دون غيره فالجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها : يحتمل أن يكون ذلك لأن اليهود همت بقتله وصلبه وجرى أمرهم معه على ما بينه الله تعالى فى كتابه ، وهم أبدا يدعون أنهم قتلوه وينسبونه الى السحر وغيره الى ما كان الله برأه ونزهه منه ، ولقد ضرب الله عليهم الذلة فلم تقم لهم منذ أعز الله الاسلام وأظهره راية ولا كان لهم

---

(١) سورة النساء : ١٥٩

(٢) متفق عليه ، ورواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

فى بقعة من بقاع الأرض سلطان ولا قوة ولا شوكة ولا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة ، فيظهر الدجال وهو أسحر السحرة ويبايعه اليهـــود فيكونون يومئذ جنده مقدرين انهم ينتقمون به من المسلمين ، فاذا صار أمرهم الى هذا أنزل الله تعالى الذى عندهم أنهم قد قتلوه وأبـــرزه لهم ولغيرهم من المنافقين والمخالفين حيا .

والوجه الثانى : وهو أنه يحتمل أن يكون انزاله مدة لدنو أجلـه ، لا لقتال الدجال لأنه لا ينبغى لمخلوق من التراب أن يموت فى السماء لكن أمره يجرى على ما قاله الله تعالى " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى "(١) فينزله الله تعالى ليقبر فى الأرض مدة يراه فيها من يقرب منه ويسمع به من تأى عنه ، ثم يقبض فيتولى المؤمنون أمره ويصلون عليه ويدفن حيث يدفن الأنبياء الذين أمه مريم من نسلهم وهى الأرض المقدسة ، فينشر اذا نشر معهم فهذا سبب انزاله غير أنه يتفق فى تلك الأيام من بلوغ الدجال باب لدّ ، هذا ما وردت بـــه الأخبار ..

والوجه الثالث : انه وجد فى الانجيل فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة طه : ٥٥

حسب ما قال ، وقوله الحق " ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل " (١) فدعى الله عز وجل أن يجعله من أمة محمد صلى اللـــه عليه وسلم فاستجاب الله تعالى دعاءه ورفعه الى السماء الى أن ينزله آخر الزمان مجددا لما درس من دين الاسلام دين محمد عليه الصلاة والسلام ، فوافق خروج الدجال فيقتله (٢)).

هذا وقد نقل بعض العلماء اجماع الأمة على نزول عيسى عليـــه السلام فى آخر الزمان ، يقول العلامة السفارينى فى لوامع الأنوار البهية :

" قد أجمعت الأمة على نزول عيسى بن مريم عليه السلام ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وانما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممـــن لا يعتد بخلافه ، وقد انعقد اجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهـــذه الشريعة المحمدية ، وليس ينزل بشريعة مستقله عند نزوله من السماء " (٣)

----

(١) سورة الفتح : ٢٩

(٢) تنبيه الأمة ص ٦٣ - ٦٥ ، أنظر التذكرة ص ٦٧٨ - ٦٧٩

(٣) لوامع الأنوار البهية - جـ ٢ ص ٩٤ - ٩٥

د - خروج ياجوج ومأجوج

ان خروج ياجوج ومأجوج من الآيات الكبرى المؤذنة بقرب قيام الساعة ، وقد ورد ذكرهم فى غير آية قال تعالى " حتى اذا فتحت ياجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون " (١) .

وقال تعالى : " قالوا ياذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون فى الأرض " (٢) وقد حكى الشيخ عثمان الأقوال فى نسبهم وانتهى الى أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام (٣) وانهم يخرجون فى حياة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، ثم يهلكهم الله بدود يقال له النغف (بفتح النون والغين المعجمة) (٤) ؛ وذلك لما ورد فى حديث نواس بن سمعان رضى الله عنه .. يقولون لقد قتلنا من فى الأرض فهلم فلنقتل من فى السماء ، فيرمون نشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضبة دما فيرغب نبى الله عيسى عليه السلام الى الله فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون موتى " (٥)

---

(١) سورة الأنبياء : ٩٦

(٢) سورة الكهف : ٩٤

(٣) تنبيه الأمة ص ٧٤

(٤) وهو دود يكون فى أنوف الابل والغنم الواحدة نغفة .

(٥) نفس المرجع ص ٧٧ والحديث رواه الامام مسلم فى باب ذكر الدجال مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ٧١ ، والترمذى فى باب ما جاء فى فتنة الدجال تحفة الاحوذى ج ٣ ص ٢٣٧

هـ - رفع القرآن

يقول الشيخ عثمان : " ان القرآن يرفع ليلة فلا تبقى في الأرض منه آية ، فقد روى ابن ماجه من حديث حذيفة رضي الله عنه " يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى منه آية في الأرض ، ويبقى طوائف من الناس ، الشيخ والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا اله الا الله فنحن نقولها ". (٢)

ولما رواه البيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : اقرأوا القرآن قبل أن يرفع ، فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع ، قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف ما في صدور الناس ؟؟ قال يغدى عليهم ليلا فيرفع ما في صدورهم ، فيصبحون يقولون لكنا كنا نعلم شيئا ثم يقعون في الشعر " (٢)

---

(١) رواه ابن ماجه في باب اشراط الساعة جـ ٢ ص ١٣٤٤

(٢) تنبيه الأمة ص ٧٩ ، هداية الطالبين ص ١٥ - ١٦

و - خروج الدابــــة

يثبت الشيخ عثمان خروج الدابة بدليل قوله تعالى :

" واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون " (١) فيقول : (معنى وقع القول عليهم أى وجب الوعيد عليهم لتماديهم فى العصيان والفسوق والطغيـان وأعراضهم عن آيات الله تعالى وتركهم تدبرها والنزول على حكمهـا وانتهائهم فى المعاصى الى ما لا ينجع معه فيهم موعظة ولا يصرفهم عن غيهم تذكرة ، يقول عز من قائل فاذا صاروا كذلك أخرجنا لهـم دابة من الأرض تكلمهم - أى دابة تعقل وتنطق ليثبت لهم العلم بأنها آية من قبل الله تعالى ضرورة فان الدواب فى العادة لا كلام لها ولا عقل) (٢)

ثم أورد أقوال العلماء فى تحديد مكان خروجها ، فمن قائـل أنها تخرج من جياد (٣) ، ومن قائل أنها تخرج من جبل الصفا بمكة ، ومن قائل انها تخرج فى أيام الحج بمكة ، وآخرون يرون انها تخـرج

---

(١) سورة النحل : ٨٢

(٢) تنبيه الأمة ص ٨٠ نقلا عن القرطبى فى التذكرة ص ٦٩٧

(٣) حي من أحياء مكـة

من تهامة ولم يرجح قولا منها على الآخر وانما اكتفى بذكر عدد خرجاتها بأنها ثلاثة وقد استند في ذلك على حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال : لها ثلاث خرجات من الدهر ، فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك فيفشوا ذكرها في البادية ، ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وخيرها وأكرمها على الله - المسجد الحرام - لم يزعهم الا وهي في ناحية المسجد بين الركن والمقام " .(١)

لقد قال الامام ابن كثير في تفسيره " هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله ، وتبديلهم الدين الحق"(٢)

---

(١) نفس المرجع ص ٨٢

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٧٤

ز ـ طلوع الشمس من مغربها

ويرى ابن فودى ان من اشراط الساعة الكبرى طلوع الشمس من مغربها ، وذلك عند اغلاق أبواب التوبة (١) ويستدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل " (٢) ثم ينقل بيان حكمة طلوع الشمس من المغرب عن القرطبى فى التذكرة اذ يقول : (وقد قيل ان الحكمة فى طلوع الشمس من مغربها ان ابراهيم عليه السلام قال لنمرود : فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر " (البقرة ٢٥٨)

وان الملحدة والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كاين فيطلعها الله تعالى يوما من المغرب ليرى المنكرون لذلك قدرته من أن الشمس فى قدرته ان شاء أطلعها من المشرق وان شاء أطلعها من المغرب . (٣)

---

(١) تنبيه الأمة ص ٨٧
(٢) رواه مسلم فى باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الايمان
(٣) التذكرة ص ٧٠٦

ولما كانت أحاديث أشراط الساعة كثيرة ، ومنها ما يشعر أن وقوع الأشراط حسب الترتيب في النص ، كحديث مسلم " لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر منها الدجال ، ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج والخسوفات الثلاث الخ ومنها ما نص على أن أول الآيات وقوعا طلوع الشمس من مغربها . يرى ابن فودى : " ان أول الآيات العظام المؤذنه بتغيير الاحوال العامة في معظم الأرض خروج الدجال ثم نزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج وكل ذلك سابق على طلوع الشمس من مغربها ، ثم أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوى طلوع الشمس من مغربها وبعد خروج الدابة في ذلك اليوم أو قريب منه ، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التى تحشر الناس كما في حديث أنس في الصحيح وبذلك يحصل الجمع بين الأخبار " (١)

وبعد ... فهذه جملة اشراط الساعة الصغرى والكبرى بأدلتها النقلية كما أورده ابن فودى ، وهو ليس بدعا في معالجة هذا الموضوع بهذه الصورة وبهذا الترتيب لقد سبقه اليه جمهور غفير من العلماء ، وهو كغيره من العلماء يعتمد على أحاديث الآحاد في اثبات العقائد ،

---

(١) نفس المرجع ص ٩١ - ٩٢

وهى مسألة كثر فيها الخلاف بين العلماء فمنهم من يرى أن التواتر فى الأخبار عن المغيبات شرط لوجوب الايمان بها ، والظاهر مما نقلناه عن ابن فودى انه يميل الى عدم اشتراط التواتر ، لقد استشهـــد بأحاديث آحاد مثل حديث تميم الدارى وحديث النواس بن سمعان والمعلوم ان كل ما صح سنده الى النبى صلى الله عليه وسلم من الأخبار فالايمان به واجب سواء فى ذلك ما كان متواترا أو آحادا ، لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يبعث رسله الى الآفاق آحادا ولم يكن المرسل اليهم يرفضون خبره لكونه آحادا بل لقد كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم يأخذون بأخبار الآحاد من الثقات ، فلما حولت القبلة الى الكعبة خرج رجل ممن صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فمر على أهل قباء وهم يصلون نحو القبلة الأولى فأخبرهم بأن النبى صلى اللـه عليه وسلم قد أنزل عليه القرآن وأمر أن يستقبل الكعبة فاستداروا نحو الكعبة ولم يرفضوا ذلك الخبر لكون آحادا فبهذا نتوصل الى صحة الاعتقاد بكل ما أورده ابن فودى من اشراط الساعة مستندا الى النصوص الشرعية .

المبحث الثالث : الميزان

يرى ابن فودى أن أعمال العبد توزن يوم القيامة بميزان عدل له لسان وكفتان ويستدل على ذلك بالأدلة الشرعية فيقول :

(و " نعتقد " أن الميزان حق ، وله لسان وكفتان ، تعرف به مقادير الأعمال بأن توزن صحفها به . قال تعالى : " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة " (١) .

وروى الترمذى حديث يصاح برجل من أمتى على رؤوس الخلائق وينشر عليه تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقال : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول أفلك عذر ، فيقول لا ، فيقول : بلى ان لك عندنا حسنة ، وأنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فيقول له ، احضر وزنك ، فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ، فيقول انك لا تظلم ، فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات ، وتثقل

---

(١) سورة الأنبياء : ٤٧

البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شئ) (١)

فهذه النصوص ثابتة فى وجوب الايمان بالميزان ، وان كانت حقيقته غائبة عن الحس البشرى وهو الحق الذى عليه سلف الأمة .

وان كان الخلاف قد وقع بين المتأخرين فى حقيقة هذا الميزان وما يوزن به .

وقد أورد الأشعرى هذا الخلاف فى مقالات الاسلاميين من دون أن يسند الآراء المختلفة الى جماعة معينة ما عدا المعتزلة فيقول :

١ - " أهل الحق - يقولون أن الميزان له لسان وكفتان توزن فى احدى كفتيه الحسنات وفى الأخرى السيئات ، فمن رجحت حسناته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته دخل النار ، ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فأدخله الجنة .

٢ - أهل البدع - قالوا بابطال الميزان وفسروها على أنها موازين وليس بمعنى كفات وألسن ولكنها المجازاة يجازيهم الله بأعمالهم وزنا بوزن ، وأنكروا الميزان وقالوا يستحيل وزن الأعراض لأن الأعراض

---

(١) هداية الطالبين ص ٩-١٠ أضاف الشيخ عثمان هذه الرواية بهذه الالفاظ الى الترمذى والذى فى التذكرة للقرطبى أن هذه الرواية بهذه الألفاظ لابن ماجه وهى تختلف مع رواية الترمذى فى عبارة يصاح برجل من أمتى .. فانها فى رواية الترمذى " يستخلص رجلا من أمتى .. وقال الترمذى عن الحديث أنه حسن غريب .

لا ثقل لها ولا خفة .

٣ ـ وقال فريق ثالث باثبات الميزان وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين ولكن اذا كانت حسنات الانسان أعظم من سيئاته رجحت احدى الكفتين على الأخرى فكان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل الجنة ، وكذلك اذا رجحت الكفة الأخرى السوداء كان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل النار .

٤ ـ وأما المعتزلة فقد قالوا ان الحسنات تكون محبطة للسيئات وتكون أعظم منها وان السيئات محبطة للحسنات وتكون أعظم منها (١))

وقد أورد الامام الطبري في تفسيره أدلة منكري الميزان قائلا :

(أو بالله حاجة الى وزن الأشياء وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه اياه وبعده وفي كل حال ، وكيف توزن الأعمال والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل وانما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها وكثرتها من قلتها وذلك لا يجوز الا على الأشياء التي

---

(١) مقالات الاسلاميين جـ ٢ ص ١٤٦

توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلة) (١) لسنا فى مقام مناقشة هذه الأدلة وانما القصد من عقد هذا الفصل هو بيان موافقة ابن فودى لمذهب أهل الحق فى الايمان بالميزان/ يعد مخالفة لكتاب فانكار الميزان الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فان خفيت الحكمة من وضع الميزان عن طائفة من الناس فان ذلك لا يصلح دليلا على نفيه ، فلو لم تكن الحكمة فى ذلك الا ظهور عدله لخلقه لكان كافيا لوجوب الايمان به .

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى - جامع البيان فى تفسير القرآن دار المعرفة ،ج٨ ص٩٢

الباب الثالث

مباحث عامة

الفصل الأول : موقف ابن فودى من علم الكلام

كانت العقيدة الاسلامية فى عهد الصحابة رضوان الله عليهم من الصفاء والوضوح بحيث أنهم لم يكونوا فى حاجة الى غير النصوص الشرعية لمعرفتها وتقريرها . وهم - وقد خصهم الله بصحبة نبيه ومشاهدة الوحى - لم يكونوا يحتاجون فى علومهم الا الى ما يتلقونه مباشرة عن النبى صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة المطهرة ، فيفهمونه أحسن فهم ويحملونه على أحسن محمل ، ولم يؤثر عنهم مناقشة أمر من أمور العقيدة والنبى صلى الله عليه وسلم لم يترك أمرا يحتاج اليه المسلمون فى دينهم وعقيدتهم الا وبينه بيانا شافيا ولم يدع لأحد مقالا فيما للمسلمين اليه حاجة . وما ترك أمراً يترتب عليه الشر الا وحذرهم عنه .

فلما انتشرت الفتوحات الاسلامية ، واتسعت رقعة البلاد الاسلامية ، اختلط المسلمون بشعوب أخرى أصحاب الديانات القديمة ، فمنهم من دخل فى الاسلام عن ايمان واقتناع وأبلوا فيه

بلاء حسنا ، ومنهم من دخل فى الاسلام ليفسدوه على أهله ، فأخذوا

يثيرون مسائل تتصل بعقيدتهم القديمة ، واستخدموا فى ترويج هذه

الآراء والمسائل مبادئ الفلسفة اليونانية التى عنى بعض الخلفاء بنقلها

الى العربية ، فشاعت البدع والخرافات فى المجتمع ، واضطر العلماء

الى مقاومتهم ومناظرتهم حتى لا يلبسوا على الضعفاء أمر دينهم ،

وحتى لا يدخلوا فى الدين ما ليس منه فظهر ما عرف بعلم الكلام ، ومن

أبرز العلماء الذين استعانوا بعلم الكلام فى تصوير العقيدة الاسلامية

الامام الأشعرى ، والجوينى والرازى ، الا أنهم اضطروا الى الرجوع

عنه لما أدركوا أنه لا يشفى غليلا وأعلنوا تمسكهم بطريق السلف

الصالح .(١)

---

(١) لقد اعترف الرازى فى آخر عمره بالرجوع الى طريق القرآن بقوله
" لقد تأملت طرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تروى
غليلا ولا تشفى عليلا ، ورأيت أقرب الطريق طرق القرآن ،
ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى "
وكان الجوينى يقول : يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو
عرفت ان الكلام يبلغ بى الى ما بلغ ما اشتغلت به " وقال
عند موته " لقد خضت البحر الخضم ، وخليت أهل الاسلام
وعلومهم ودخلت فى الذى نهونى عنه والآن فان لم يتداركنى
ربى ، فالويل لابن الجوينى " انظر شرح العقيدة الطحاوية ص
١٢٩ ، تلبيس ابليس لابن جوزى ص ٨٢)

وقد تسرب مذهب الاشاعرة الى غرب القارة الافريقية بعد أن أدخل ابن تومرت (١) كتب الغزالى الى بلاد المغرب ، وبفضل الجهود التى بذلها الامام المغيلى التلمسانى وغيره من العلماء الأجلاء الذين كان لهم قدم سبق فى ارساء العقيدة الاسلامية فى تلك البلاد .

انتشر مذهب الاشعاعرة وانتشر معه الاعتقاد بأن النظر علــى طريق المتكلمين يتعين على كل مكلف ، ومن لم يعرف الله بطريق علم الكلام وبالأدلة العقلية والأقيسة المنطقية فليس بمؤمن كامل الايمان . وعندما جاء الشيخ عثمان ابن فودى بدعوته الاصلاحية تولى الرد على هذا الاعتقاد وغيره من المعتقدات الباطلة التى يروجها بعض الجهلة

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت ، المتلقب بالمهدى ولد ونشأ فى قبيلته هرغة من المصامدة من قبائل جبل السوس بالمغرب الأقصى ، رحل الى المشرق طالبا للعلم فانتهى الى العراق ، واجتمع بأبى حامد الغزالى والطرطوشى ، وحج وأقام بمكة زمنا ثم خرج منها الى مصر فالى المغرب وتوفى آخر سنـــة ٥٢٤ هـ (وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٥ ص ٤٥ - ٤٦ ، معجم المؤلفين جـ ١٠ ص ٢٠٦)

من الناس وعمت بها البلوى فيقول فى كتابه حصن الأفهام :

(ومن تلك الأوهام اعتقاد بعضهم أن أحدا لا يحكم له بالايمان والاسلام الا بعد تعلم العقائد وأدلتها وما يناظر به الخصوم وما تحل به الشبهات على طريق المتكلمين مع القدرة على العبارة بذلك كله ، وهذا أيضا باطل ووهم على الاجتماع) (١) ويمضى فيقول :

(ويحقق بطلان مذهبهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يفصل ذلك فى زمانه ، ولم يفعل ذلك الصديق زمن خلافته فى أهل الردة ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة وكذا كل من قام مقامهم الى يومنا هذا) (٢) .

لا شك أن قول القائلين أن العقيدة الاسلامية الصحيحة لا يتحصل عليها الا عن طريق أدلة المتكلمين ونفيهم كمال الايمان عمن عدل عن هذا الطريق هو عين الضلال ، لأنه يلزم من قولهم هذا أن دخول الجنة سيقتصر على شرذمة من علماء الكلام ومن سلك سبيلهم دون غيرهم ، فكيف يتصور اغلاق أبواب الرحمة الالهية الواسعة عن هذه الأمة بسبب

---

(١) حصن الافهام من جيوش الأوهام ، مطبعة الزاوية التيجانية بالقاهرة ص ١٠

(٢) نفس المرجع .

عدولها عن سلوك منهج علم الكلام . لذلك حكم ابن فودى ببطلان هذا القول بدليل أنه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة الكرام رضوان الله عليهم انهم اعتمدوا هذا الأسلوب فى تقرير العقائد .

بما أن حال علماء الكلام مختلفة ، فهم بين متعصب وغير متعصب، وبين متورط فى علوم الفلاسفة وغير متورط نقل عن كثير من العلماء القول بذم الكلام . فقد حكم الامام الشافعى على أصحاب الكلام بأن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الابل منكسين ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام .(١) وقال الامام أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب كلام أبدا علماء الكلام زنادقة .(٢)

وأما الشيخ عثمان بن فودى فانه يرى عدم جواز اطلاق القول بذم الكلام فى كل حال لاشتماله على بعض المنافع فيقول :

" وأما علم الكلام فممدوح باعتبار منفعته وهى تحقيق علم التوحيد وصونه،

---

(١) تلبيس ابليس ص ٨٢ - ٨٣

(٢) نفس المرجع .

وكشف الحقائق ومعرفتها على ما هى عليه ، ومذموم باعتبار مضرته ، وهى اثارة الشبهات وتحريك العقائد ، فبسبب ما ذكرنا كان اطلاق القول بذمه فى كل حال ومدحه فى كل حال من غير تفصيل خطأ وأما أهل علم الكلام كالشيخ أبى الحسن الأشعرى وأصحابه ومن تبعهم من أهل السنة فممدوحون ، والمذمومون من أهل علم الكلام هم المعتزلة) (١) .

فما موقف الشيخ عثمان مما ورد عن بعض السلف فى ذم علم الكلام ؟؟

فقد أخذ بتأويل الشيخ السنوسى لقول الامامين الشافعى وأحمد بن حنبل فى ذم علم الكلام حيث قال : " وما يستند اليه بعض من أعمى الله تعالى بصيرته فى ادعائه تحريم النظر فى علم التوحيد من أن الشافعى رضى الله تعالى عنه رأى فى أهل علم الكلام أن يضربوا بالجريد .. فقول بموجبه فى أولئك الذين كانوا يسمون أهل علم الكلام

---

(١) حصن الافهام ص ١٨ ، احياء السنة ص ٤٣

في زمانه ، وهم عمرو بن عبيد (۱) من المعتزلة وحفص الفرد (۲) من القدرية وأضرابهم . وإذا فهمت هذا كله عرفت أن علم الكلام في نفسه ممدوح باعتبار وجه ومذموم باعتبار وجه ، وأما أهله ، فمن كان من أهـــل السنة فممدوح ومن كان منهم من المعتزلة فمذموم . وأما قول أحمد : "علماء الكلام زنادقة فمخصوص بالذين يتعلمون حلاوة المنطق ليستميلوا قلوب الملوك وسائر الناس" (۳)

وبناء على ما سبق ذكره ، يتضح لنا أن الشيخ عثمان بن فودى من أولئك الذين لا يمنعون الاشتغال بعلم الكلام مطلقا ولا يجوزونه من دون تفصيل ، ويرى أن المنع إنما ورد في حق أئمة المعتزلـــة الذين اشتغلوا في الكلام لحاجة في نفوسهم دون غيرهم من العلماء الذين كانوا يدافعون عن الدين .

---

(۱) هو عمر بن عبيد البصرى المعتزلي التيمى مولاهم أبو عثمان البصرى من أبناء فارس شيخ القدرية والمعتزلة (البدايـــة والنهاية لابن كثير ، الطبعة الثانية ۱۹۷۷ ، جـ ۱۰ ص ۷۸)

(۲) من كبار المعتزلة القدرية

(۳) حصن الافهام ص ۱۸ - ۱۹

ولقد تنوع تعريف العلماء لعلم الكلام (١) وهذه التعريفات وان اختلفت ألفاظها فانها تكاد تتفق على معنى واحد حصيلته ان علم الكلام من شأنه أن يعين المسلم على نصرة الآراء الدينية الواردة فى الكتاب والسنة ، ورد الشبهات والخرافات عن هذه العقائد بالحجج العقلية . فغايته الدفاع عن العقيدة ورد الشبهات ووسيلته الأدلة العقلية والمنطقية غير أن العقل البشرى مهما وصل الى درجة عالية من النضج والسداد فانه لا يزل فى حاجة الى توجيه وارشاد من الله سبحانه وتعالى وهو لا يستطيع أن يصل بذاته الى كل الحقائق .

---

(١) لقد عرف ابن فودى علم الكلام بتعريف اللقانى فى جوهرة التوحيد : بأنه علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية على الغير والزامه اياه بايراد الحجج ودفع الشبهة ،
(انظر شمس الاخوان ص ٤٨ شرح جوهرة التوحيد ص)
كما عرفه ابن خلدون بما نصه :
انه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة (المقدمة ص ٤٢٣) .

لذلك نرى اختلافا وتباينا فى الآراء فى مسألة واحدة والسر فى ذلك أن العقل يرتبط بالمصالح المادية ، ولا يمكن معه أن يقطع بالحكم المقبول دائما فى الأمور الاعتقادية ـ اذن فيجب الاهتداء بما جاء فى الكتاب والسنة لأن مسائل الاعتقادية تفوق سلطان العقل .
فأئمة الاسلام وعلماؤه الذين اشتهروا بمخالفتهم لعلم الكلام لم يكونوا مختلفين فى ضرورة اقناع الخصوم بالأدلة فى كثير من المسائل ولكنهم يعرفون يقينا أن الطريق المضمون للوصول الى الغاية المنشودة هو باستخدام الدلائل التى جاء بها الشرع ، والخروج عن هذه الدائرة يؤدى الى الشك والزعزعة فى العقائد ، وقد أشرت الى أن فحول الكلام من العلماء قد رجعوا الى منهج القرآن والسنة بعد اقتناعهم بأن منهج الكلام لا يحقق الغاية المطلوبة .

يقول الامام الغزالى : " قد يظن أن فائدته (أى علم الكلام) كشف الحقائق ومعرفتها على ما هى عليه ، وشبهات ، فليس فى الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف . . وأما العاصى المعتقد للبدعة فينبغى أن يدعى الى الحق لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر فى القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين " (١)

---

(١) احياء علوم الدين ج ١ ص ٩٧-٩٨

الفصل الثانى : الايمـــان

لقد اختلف العلماء فى مسائل تتعلق بالايمان ومن أهمها دخول الاعمال فى حقيقته أو عدم دخولها . ولما كانت النصوص قد وردت بما تفيد أن محل الايمان هو القلب كقوله تعالى : " أولئك كتب فى قلوبهم الايمان ... " (١) وقوله و " ما أنت بمؤمن لنا .. " (٢) ذهب الجهمية (٣) الى أن الايمان فعل القلب فقط أما الكرامية (٤) واتباعهم فذهبوا الى أن الايمان عمل اللسان فقط (٥) ، ونظر آخرون الى الآيات التى وردت فيها الأعمال الصالحات معطوفة على الايمان كقوله تعالى : " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا .." (٦)

---

(١) سورة المجادلة : ٢٢

(٢) سورة يوسف : ١٧

(٣) هم اتباع جهم بن صفوان الراسبى - وهم يوافقون أهل السنة فى مسألة القضاء والقدر مع ميل الى الجبر ، وينفون الصفات والرؤيه ويقولون بخلق القرآن (الخطط للمقريزى جـ٣ ص ٢٩٢)

(٤) هم أتباع محمد بن كرام السجستانى

(٥) منهم الامام أبو حنيفة

(٦) سورة الكهف : ١٠٧

وفهموا منها المغايرة فجعلوا الأعمال من لوازم التصديق القلبي وليست جزءاً من الايمان وذهب جمهور أهل السنة الى أن الأعمال داخلة في مسمى الايمان وأن الله سبحانه وتعالى أراد من عباده القول والعمل معا .(١)

وأما الشيخ عثمان فانه يرى أن ما يتعلق به الحكم بايمان العبد في الدنيا هو الاقرار بالشهادتين فقط ، وما يتوقف عليه دخول العبد الجنة هو التصديق بالقلب ، ويسوق الأدلة من القرآن والسنة والاجماع على ذلك فيقول : (ان الايمان الكافي في الدنيا هو الاقرار بالشهادتين فقط كتابا وسنة واجماعا ، أما الكتاب فقوله تعالى : " ولا تقولوا لمن ألقى أليكم السلم لست مؤمنا "(٢) وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم

---

(١) لقد أورد العلماء أقوال الفرق الاسلامية في مسائل الايمان في مؤلفات عديدة فلا حاجة لذكرها على وجه التفصيل وبيان الصواب منها ، وانما المقصود بهذا الفصل هو بيان موقف الشيخ عثمان في المسألة . أنظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٦ ، والفصل لابن حزم جـ ٣ ص ١٨٨ وما بعدها . مقالات الاسلاميين للأشعري جـ١ ص ٢١٤ - ٢٢٣

(٢) سورة النساء : ٩٤

على الله ". (١)

وأما الاجماع فقد اتفق علماء السنة رضى الله عنهم على أن من أقر بالشهادتين أجريت عليه الاحكام الاسلامية فى الدنيا ، فلم يحكم عليه بكفر الا اذا اقترن به قيد يدل على كفره كالسجود للصنم مثلا) (٢)

ثم أردف يقول (اعلموا أن الايمان الذى يتوقف عليه دخول الجنة هو تصديق ما علم مجيء الرسول به ضرورة ، قال الله تعالى : " ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين .. " (٣)

وفسر صلى الله عليه وسلم الايمان الذى يتوقف عليه دخول الجنة فى حديث جبريل بقوله : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره " (٤)

فعلم بهذا أن الايمان تصديق ما علم مجيء الرسول به ضرورة) (٥)

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الايمان بلفظ .. حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة جـ ١ ص

(٢) الشيخ عثمان بن فودى : تبصرة المبتدئ فى أصول الدين (مخطوط) ص ٥ - ٦ أنظر كتاب سوق الأمة الى اتباع السنة ص ٤

(٣) سورة البقرة : ١٧٧

(٤) رواه البخارى فى كتاب الايمان ، باب سؤال جبريل عن الايمان والاسلام والاحسان جـ ١ ص ١٥

(٥) المرجع السابق .

جعل الشيخ عثمان الاقرار بالشهادتين شرطا لاجراء الأحكام في الدنيا ، فمن تلفظ بكلمتى الشهادة فماله ودمه وعرضه معصوم الا اذا أنكر معلوما من الدين بالضرورة أو عمل ما لا يحتمل الا الكفر كالسجود للأصنام ، وأما فيما بين العبد وربه فيرى أن التصديق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يعتبر كافيا لاكتفاء النبى صلى الله عليه وسلم بذكر التصديق عند سؤال جبريل عليه السلام . اذا فالايمان الكامل الذى ينفع صاحبه فى الدنيا والآخرة * هو الاقرار بالشهادتين والتصديق بما علم مجىء الرسول صلى الله عليه وسلم به ضرورة ، ولكنه ذكر فى مقام آخر أن هذا الايمان يزيد وينقص حيث عقد فصلا فى كتابه سوق الأمة الى اتباع السنة أورد فيه الأدلة على ذلك بقوله :

(ما جاء فى زيادة الايمان ونقصانه ، وفى صحيح البخارى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن شعيرة من الخير ، ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن برة من الخير ، ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من الخير) (١) ولا يخفى تفاوت وزن الشعيرة والبرة والذرة .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الايمان ج ١ ص ١٤

انظر كتاب سوق الامة الى اتباع السنة (مخطوط) ص٦

* بنجاته من الخلود فى النار

يظهر مما أوردناه عن الشيخ عثمان أنه لم يجعل الأعمال داخلة في مسمى الايمان ، وأنه ليدركني العجب كيف حكم بزيادة الايمان ونقصانه وهو مجرد عن أعمال الجوارح ، فهل أراد الشيخ أن التصديق والاقرار يزيدان وينقصان لذاتهما ؟؟ أن الأدلة التي أوردها لبيان زيادة الايمان ونقصانه ليست نصا في نقصانه وزيادته لذاته اذ يجوز أن يكون ذلك بسبب زيادة الأعمال ونقصانها . فالراجح أن الايمان هو التصديق بالقلب، والاقرار باللسان والعمل بالاركان ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، وهذا ما عليه جمهور العلماء .

قال ابن حزم رحمه الله (والقول الصحيح هو قول جمهور أهل الاسلام ، ومذهب الجماعة وأصحاب الآثار ان الايمان ، عقد وقول وعمل) (١) وقال صاحب العقيدة الطحاوية :

(مذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي واسحاق بن راهوية وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر أنه تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان) (٢)

---

(١) الفصل في ملل الاهواء والنحل جـ ٣ ص ١٩١

(٢) علي بن علي بن محمد بن ابي العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٦

ومن الأدلة التي استدل بها الجمهور على زيادة الايمان ونقصانه أن الله قسم المؤمنين ثلاث طبقات فقال سبحانه :

" ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله . . . " (١) فالسابقون بالخيرات هم الذين أحرزوا قصب السبق في أداء الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات فرجحت حسناتهم على سيئاتهم ، والمقتصدون هم الذين اقتصروا على أداء الواجبات وترك المحرمات ، والظالمون لأنفسهم هم الذين اجترؤا على بعض المحرمات وقصروا ببعض الواجبات مع بقاء أصل الايمان معهم (٢) .

كما نص سبحانه وتعالى على زيادة الايمان في آيات متعددة منها قوله تعالى : " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون " (٣)

وقوله تعالى : " هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا

---

(١) سورة فاطر : ٣٢

(٢) أنظر شرح العقيدة الواسطية ـ محمد خليل هراس ص ١٥٤ بتصرف .

(٣) سورة الأنفال : ٢

ايمانا مع ايمانهم . . " (١)

ومن السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم " الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان " (٢)

وهناك مسألة أخرى تتعلق بهذا الموضوع أشار اليها الشيخ عثمان بقوله : (بعكس حد الايمان يكون حد الكفران هو ضده ، وهو تكذيب ما علم مجيء الرسول به ضرورة أو ما يقوم مقامه كالسجود للصنم والقاء المصحف في القاذورات مثلا وبحد الكفر يظهر أن تكفير أهل الاعتزال ليس بصواب وذلك لأنهم لا يدخلون في حد الكفر ، اذ حد الاعتزال تكذيب ما علم مجيء الرسول به نظرا ، وكل من كفرهم انما كفرهم باللازم) . (٣)

ويستشهد بأقوال العلماء لدعم مذهبه فينقل عن ابن اسحاق الاسفرائيني قوله : (والذى نختاره أن لا نكفر أحدا من أهل البدع (٤)

---

(١) سورة الفتح : ٤

(٢) رواه مسلم في كتاب الايمان ، باب شعب الايمان

(٣) تبصرة المبتدئ في أصول الدين ص ٨

(٤) هو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الاسفرائيني ، وكان علما من أعلام الاصوليين والمتكلمين وكان من المجتهدين في المذهب الشافعي وله كتب منها الجامع في اصول الدين ، الرد على الملحدين توفي سنة ٤١٨ هـ ، الفتح المبين ج ١ ص ٢٢٨

يعنى الذين ينكرون ما علم مجئ الرسول به نظرا ولم ينكروا ما علموا مجيئه به ضرورة ، والدليل عليه أن نقول المسائل التى اختلف أهل القبلة فيها مثل ان الله تعالى عالم بعلم أو بذاته أو أنه تعالى هل هو موجد لأفعال العباد أم لا وأنه هل هو متحيز ، وهل هو فى مكان وجهة ، وهل هو مرأى أم لا - لا تخلو اما أن تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها أو لا تتوقف ، الأول باطل ، اذ لو كانت معرفة هذه الأصول من الدين لكان من الواجب عليه عليه الصلاة والسلام أن يطالبهم بهذه المسائل ، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها ، فلما لم يطالبهم بهذه المسائل وما جرى حديث من هذه فى زمانه عليه الصلاة والسلام ولا فى زمن الصحابة والتابعين علمنا انه لا تتوقف صحة الايمان على معرفة هذه الاصول ، واذا كانت كذلك لم يكن الخطأ فى هذه المسائل قادحا فى حقيقة الايمان وذلك يقتضى امتناع تكفيرهم) (١) .

ان مسألة تكفير طائفة من المسلمين من أصعب الأمور وأخطرها وقد امتنع بعض الائمة عن اطلاق القول بالكفر الا بقيد الاستحلال مخالفين

---

(١) المرجع السابق ص ١٠

او بكل كبيرة بدون توبة

فى ذلك قول الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب/ ومذهب أهل السنة والجماعة عدم تكفير أحد من أهل القبلة بالمعصية غير أن من المعاصى ما تتناقض مع الشهادتين وتتفاوت فى قوة دلالتها على الكفر، فمنها ما كانت دلالتها ظاهرة كالقول بخلق القرآن أو انكار المعلوم من الدين بالضرورة ، ومنها ما تكون دلالتها بما يلزم منه كالقول بقدم العالم فانه يلزم منه أن الله لم يخلق شيئا - والعياذ بالله - او القاء شىء من المصحف فى القاذورات فانه يلزم منه تحقير كلام الله والاستخفاف به ، فمن فعل ذلك أو قال هذه المقالات وأمثالها فهو كافر كما أشار اليها صاحب الطحاوية : (بل العدل هو الوسط ، وهو أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفى ما أثبته الرسول أو اثبات ما نفاه أو الأمر بما نهى عنه أو النهى عما أمر به يقال فيها الحق ، ويثبت لها الوعيد الذى دلت عليه النصوص ويبين انها كفر ، ويقال من قالها فهو كافر ونحو ذلك ، كما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى فى الآخرة ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها ، وأما الشخص المعين اذا قيل هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر فهذا لا تشهد عليه الا

بأمر تجوز معه الشهادة ، فانه من أعظم البغى أن يشهد على معين ان الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده فى النار ، فان هذا حكم الكافر بعد الموت ، ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئا مغفورا له ، ويمكن أن يكون لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص) .[1]

------

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

الفصل الثالث : البدعـــة

لقد وجه ابن فودى اهتمامه البالغ الى بيان حقيقة الاســـلام ووجوب الفصل بينه وبين ما ألصق به من البدع والخرافات التي كانت تقضى علي نور الاسلام وبهائه ، ومما ساعد على انتشار البدعة وتفاقمها في أوساط المسلمين سكوت العلماء وامتناعهم عن تجلية الحق والاصرار عليه ، الأمر الذى جعل كثيرا من العوام يعتقدون أن تمسكهم بالعادات السيئة والتقاليد البالية التي وجدوا عليها الآباء والأجداد لا يتنافى مع الدين .

لقد أولى الشيخ عثمان هذا الموضوع عناية خاصة فى دروســه وفى كثير من مؤلفاته ففى " احياء السنة " ذكر تعريف البدعة وأحكامها بقوله " وأما حد البدعة ـ فكما قال أبو الحسن الصغير (١) ـ ما خرج عن الكتاب والسنة والاجماع " ثم قال " وحقيقة البدعة شرعا : احداث أمر فى الدين يشبه أن يكون منه وليس منه سواء أكان بالصورة أم بالحقيقة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل محدثة بدعة " (٢)

---

(١) هو أبو الحسن على بن عبد الحق الزويلى الشهير بالصغير ، من علماء القرن السابع والثامن الهجرى توفى سنة ٧١٩ هـ

(٢) احياء السنة ص ٢٢

ثم يستطرد فيقول " وانما قسمها بعضهم لأقسام الشريعة اعتبارا لمطلق الأحداث ومن حيث اللغة " .(١)

فأقسام البدعة كما يقرره خمسة ـ واجب ، ومحرم ، ومندوب ، ومكروه ومباح ومنها ما ينكر ومنها ما لا ينكر فيقول ما نصه (وأما أقسام البدعة فقال القرافى(٢) ـ انها خمسة أقسام :

---

(١) نفس المرجع ، وبالرجوع الى كتب اللغة يقول الجوهرى : أبدعت الشيء : اخترعته لا على مثال ، والبدعة ـ بكسر الباء ـ الحدث فى الدين بعد الاكمال (أنظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية جـ ٢ ص ١١٨٣ - ١١٨٤) ويقول الفيروز أبادى ـ البدعة بالكسر الحدث فى الدين بعد الاكمال ، أو ما استحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال (أنظر القاموس المحيط جـ ٢ ص ٣)

(٢) هو أحمد بن ادريس بن عبد الرحمن ، أبو العباس ، شهاب الدين الصنهاجى القرافى من علماء المالكية نسبته الى قبيلة صنهاجة من برابرة المغرب ، والى القرافة بالقاهرة ، وهو مصرى المولد والمنشأ والوفاة ، له مصنفات جليلة فى الفقه والأصول منها أنوار البروق فى أنواء الفروق ، والذخيرة ، وشرح تنقيح الفصول) الاعلام للزركلى ١ / ٩٠

القسم الأول : ما هو واجب اجماعا ـ وهو ما تناولته قواعد الوجوب ،

وأدلته من الشرع كتدوين القرآن والشرائع اذا خيف عليهما

الضياع فان تبليغها لمن بعدنا واجب اجماعا ، واهمال

ذلك حرام ، فمثل هذا النوع لا ينبغي أن يختلف في وجوبه .

القسم الثاني : ما هو محرم اجماعا وهو ما تناولته قواعد التحريم

وأدلته من الشرع كتقديم الجهال على العلماء وتوليهم المناصب

في ذلك لكون المنصب كان لأبيه وهو نفسه ليس أهلا لذلك .

القسم الثالث : ما هو مندوب ، وهو ما تناولته قواعد الندب وأدلته

من الشرع كصلاة التراويح .

القسم الرابع : ما هو مكروه ـ وهو ما تناولته قواعد الكراهة ، وأدلتها

من الشرع كتخصيص الأيام الفاضلة وغيرها بنوع من العبادات ،

ومن هذا الباب الزيادة في المندوبات المحدودات ، كما ورد

في التسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين والتكبيرات

ثلاثا وثلاثين عقب الفريضة ، فيفعل أكثر مما حده الشارع ،

وهو مكروه لما فيه من الاستظهار على ما حدّه الشارع وقلة

الأدب معه .

القسم الخامس : ما هو مباح - وهو ما تناولته قواعد الاباحة وأدلتهـا من الشرع كاتخاذ المناخل لاصلاح الأقوات ، واللباس الحسن ، والمسكن الحسن ونحو ذلك) (١) ثم عقب على ما سبق بقوله :

(فانظروا فى أقسام البدعة ، واحفظوها ، ولتعلموا أنه ليس كل بدعة تنكر ، بل تكون كما ترون مستحبة فيثاب عليها ، ومباحة فلا يثاب ولا يعاقب عليها ، وواجبة فيثاب على فعلها ويعاقب على تركها ، ومكروهة فيثاب على تركها ولا يعاقب على فعلها) (٢)

وبالنظر الى الأمثلة التى ساقها الشيخ عثمان - نقلا عن القرافى - لبيان أقسام البدعة ، يتبين لنا أنه يوسع دائرة البدعة لتشمـل الأمور العبادة والعادة معا ، ذلك لأن أعمال الخلق اما أن تكون عبادات يتخذونها دينا فينتفعون بها فى الدنيا والآخرة ، واما أن تكون عادات ينتفعون بها فى معاشهم فقط .

والشيخ عثمان اذ نقل لنا أقسام البدعة عن القرافى ، لم ينقـل

---

(١) احياء السنة ص ٢٤ - ٢٦ أنظر قواعد الأحكام فى مصالح الأنام لعز الدين بن عبد السلام جـ ٢ ص ٢٠٤

(٢) نفس المرجع ص ٢٧ - ٢٨

تعريف القرافى لها ولعل القرافى عرّفها تعريفا يتسع لهذه الأقسام الخمسة* . أما التعريفان اللذان ذكرهما الشيخ عثمان بين يدى هذه الأقسام ، فلست أدرى كيف يلتقيان معها ، والأصل أن يتطابق أقسام الشئ مع تعريفه ، وأن يكون التعريف متحققا فى كل قسم ، وأن يكون كل قسم مشتملا على التعريف ، وانى اذا حاولت الوفاء بهذا الأصل هنا ، أجده متعذرا .

خذ مثلا قسمى الوجوب والندب اللذين مثل لهما بتدوين ما يخشى عليه الضياع من علوم الدين ، وبصلاة التراويح (ولعله يقصد صلاة التراويح فى جماعة ، والا فأصل صلاة التراويح ثابت بالسنة) فكيف ينطبق هذان القسمان على التعريف الذى ذكره الشيخ عثمان للبدعة قائلا (ما خرج عن الكتاب والسنة والاجماع) وكيف يكون (ما تناولته قواعد الوجوب وأدلته الشرعية) وكيف يكون " ما تناولته قواعد الندب وأدلته الشرعية) خارجين عن الكتاب والسنة والاجماع؟ واذا خرج هذان القسمان عن هذه الدائرة الواسعة ، فما هو المصدر الذى استمدت منه قواعد الوجوب والندب وأدلتهما الشرعية التى ركن اليها هذان القسمان . وليس للوجوب والندب الشرعيين سند يستندان اليه سوى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،

* التعريف الذى يتسع لهذه الاقسام هو ان تكون البدعة بمعنى ما فعل لا على مثال سابق اى البدعة بالمعنى اللغوى

وما بنى عليهما من قياس واجماع فهل قصد الشيخ عثمان أن تدوين ما يخشى عليه الضياع من العلوم الشرعية وصلاة التراويح فى جماعة خارجان بشخصهما عن الكتاب والسنة والاجماع بمعنى أنه لم يرد فى آية أو حديث نص عليهما بخصوصهما ولا ثبت بشأنهما اجماع ؟؟ فان يك الشيخ عثمان قد قصد الى ذلك ، فانه يكون قد توسع فى معنى البدعة ، اذ أن كل ما يثبت بالقياس ونحوه يكون داخلا فى حد البدعة عنده .

ثم ان أمر التعريف الثانى وهو (احداث أمر فى الدين يشبه أن يكون منه وليس منه سواء أكان بالصورة أم بالحقيقة . . .)

فليس أحسن حالا من سابقه فان قوله أن البدعة أمر محدث فى الدين يشبه أن يكون من الدين ولكنه ليس من الدين يقفنا أمام الصعوبة نفسها التى وقفناها أمام التعريف الأول بخصوص القسمين الأول والثانى اللذين عبر عنهما بقوله بالنسبة للأول (ما تناولته قواعد الوجوب وأدلته الشرعية) وبالنسبة للثانى (ما تناولته قواعد الندب وأدلته الشرعية " فكيف يكون ما تناولتهما قواعد الوجوب والندب وأدلتهما الشرعية أمورا محدثة فى الدين وليست منه .

ثم ان الشيخ عثمان لم يبين التعميم المراد من قوله " سواء أكان

بالصورة أم بالحقيقة) الام يرجع ؟ أيرجع الى وجه مشابهة الأمر المحدث للدين ، فيكون المعنى ـ سواء شابه هذا الأمر المحدث الدين فى صورته أم شابهه فى حقيقته ، فهو على كل حال خارج عن الدين وليس منه .

أو هو يرجع الى شئ آخر ، واذا جرينا على الأول فقد يبدو مشكلا أن يكون ما يشبه الدين فى حقيقته خارجا عنه وليس منه .

هذا ، وللشاطبى تعريف للبدعة يقول فيه : (البدعة طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشريعة يقصد بها ما يقصد بالطريقة الشرعية) (١) وقد شرح الشاطبى هذا التعريف بما يفيد أن البدعة اما أن تتعلق بالعبادات ـ كصلاة التراويح وكتخصيص بعض الأيام بنوع من العبادات ونحو ذلك ـ واما أن تتعلق بالعادات ـ كاتخاذ المناخل ، ولبس الملابس الحسن ونحو ذلك .

وان قول الشيخ عثمان انه ليس كل بدعة تنكر ، موافق لما نقل عن الامام الغزالى حيث جعل المنهى عنه من المبتدعات هو ما كان مخالفا للسنة الثابتة اذ يقول : (وما يقال انه أبدع بعد رسول الله

---

(١) الامام الشاطبى ـ الاعتصام جـ ١ ص ٤١

صلى الله عليه وسلم ، فليس كل ما أبدع منهيا عنه ، بل المنهى عنه بدعة تضاد السنة الثابتة ، وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته ، بل الابداع قد يجب فى بعض الأحوال اذا تغيرت الأسباب) (١) .

ومما سبق يتضح لنا أن ابن فودى ومعه القرافى والغزالى يميلون الى أن ما أحدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتضته مصلحة المسلمين يكون بدعة حسنة . أما كونه بدعة فلأنه جدّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما كونه حسنة فلأن قواعد الوجوب أو الندب أو الاباحة تشمله .

وهذا مالا يوافق عليه غيرهم من العلماء كالشاطبى وابن تيمية رحمهما الله . فان الشاطبى يرى ان اشتمال قواعد الشرع عليه يخرجه عن دائرة المبتدعات حيث يقول : (لأن حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعى لا من نصوص الشرع ولا من قواعده ، اذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو اباحة لما كان ثم بدعة . ولكان العمل داخلا فى عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها) (٢) .

---

(١) الامام الغزالى - احياء علوم الدين جـ ٢ ص ٣

(٢) الشاطبى - الاعتصام جـ ١ ص ١٩١ - ١٩٢

وأما ابن تيمية فانه يرى أن النصوص قد وردت صريحة في التحذير عن الأمور المحدثات عامة ولا يجوز دفع دلالتها على ذم البدع ، لذلك فان تقسيم البدعة الى حسنة وسيئة ان هي الا مجرد محاولة لايجاد مخصص لعموم أدلة ذم البدعة بما لا يصلح أن يكون مخصصا فيقول :

" فمن اعتقد أن بعض البدع مخصوص من هذا العموم احتاج الى دليل للتخصيص ، ثم المخصص هو الأدلة الشرعية من الكتاب أو السنة أو الاجماع نصا واستنباطا ، وأما عادة بعض البلاد أو أكثرها أو قول كثير من العلماء أو العباد أو أكثرهم ونحو ذلك فليس مما يصلح أن يكون معارضا لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يعارض به).(١)

وقال ابن الجوزي : " البدعة عبارة عن فعل لم يكن فابتدع ، والأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان ، فان ابتدع شئ لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطي عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وان كان جائزا حفظا للأصل وهو الاتباع .(٢)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٧٠

(٢) الامام ابو الفرج بن عبد الرحمن بن الجوزي ـ تلبيس ابليس ص١٦

والظاهر ان ابن تيمية وابن الجوزى نظرا الى البدعة من حيث أنها تطلق فى مقابلة المشروعات فجعلاها كلها مذمومة ، ونظـــر الشاطبى الى اشتمال الأدلة الشرعية للأمثلة المذكورة فجعلها خارجة عن المبتدعات ، ونظـر ابن فودى ومن وافقه الى المصلحة المترتبـة علي بعضها فجعل منها بدعة حسنة لا يجب انكارها ، وأخرى سيئة يجب انكارها .

ثم ان تمثيل ابن فودى للبدعة المندوبة بصلاة التراويح غير مسلم ، فالتحقيق انها سنة لما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قد فعلهـا فى وقت من الأوقات ، وانما ترك العمل بها خشية أن تفرض على الأمة ، يقول ابن أبى جمرة بعد أن أورد حديث التراويح ما نصه : " فيـــه دليل على أن قيام رمضان فى المساجد سنة ليس ببدعة ، لأنه لمـــا فعله صلى الله عليه وسلم فهو سنة ، ويعارضنا قول عمر رضى الله عنه نعمت البدعة هذه - فما يصح أن يسمى هذه بدعة وقد فعلت ، وانما البدعة لغة - ما فعله شخص ولم يفعله غيره قبله ولا يمكن ان نقـــول لشئ بدعة وليس فيه ما يتضمنه هذا الاسم ، وزوال الأشكال أن نقـــول انما سماها عمر بدعة لأنه لما جمعهم على القارئ الواحد وحدّ لهم أن يصلى بهم احدى عشرة ركعة فسمى ذلك التحديد باحدى عشرة ركعة

بدعة وسماها نعمت البدعة لأنه ما جعله حدّ لهم الا أنه اقتدى فـى ذلك التحديد بما روته عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزد فى تنفله فى رمضان ولا غيره على احدى عشرة ركعة ، فمن أجل اتباعه للنبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك قال لها ـ نعمت البدعة " (١)

ليس فيما ذكره ابن أبى جمرة ما يزيل الاشكال ، لأن جمع عمر رضى الله عنه للناس على قارئ واحد ليس جديدا ، لأن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم لما صلا ها بالناس كانوا معه مجموعين على قارئ واحد ، اذا فما أزال ابن أبى جمرة الاشكال ،

أقول ـ لعل الاشكال يزول بأن عمر رضى الله عنه جمع الناس على قارئ واحد الشهر كله ، وأما النبى صلى الله عليه وسلم فقد صلا بهـم أياما محدودات ، ولعل فى هذا الفرق بين فعل عمر وفعل رسـول الله صلى الله عليه وسلم ما جعله يسمى فعله بدعة .

---

(١) عبد الله بن أبى جمرة الأزدى الأندلسى ـ بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخارى ، الطبعة الثانية جـ ٢ ص ٧

الفصل الرابع : التوســــل

ان المتتبع لمصنفات الشيخ عثمان يجد أنه على الرغم من دعوته الى التمسك بالكتاب والسنة ، واجتناب البدع المحدثة ـ يتوسل بجاه النبى صلى الله عليه وسلم ففى كتابه احياء السنة ، نجده قد حرص على تذييل كل فصل من الكتاب بقوله :

" اللهم وفقنا لاتباع سنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم بجاهه عندك "(١)

وقد أثار موقفه هذا كثيرا من التساؤلات حوله ، الأمر الذى جعل اللجنة التى أشرفت على اخراج الكتاب تحاول تبرير صنيعه هذا حيث قالوا (لعل المؤلف " أى الشيخ عثمان بن فودى" أول الجاه المعظم برده الى صفة من صفاته تعالى ، كأنه يقول : اللهم انا نتوسل اليك بمحبتك لنبيك وفضلك المعظم عليه أن توفقنا لاتباع سنته ، ولا شك أن هذا التوسل مشروع ، يدخل فى التوسل المعهود عند السلف . . الى أن قالت . . . دعا الى هذا التأويل تاريخ المؤلف الحافل بحرصه على السنة وجهاده فى البدعة وسلوكه فى دعوته وجهاده . على أنا لم نأت بهذا التأويل من عندنا ، بل اقتبسناه من تفسير العلامة الألوسى

---

(١) احياء السنة ص١٦ - ص١٩ ، ص ٢٨ ، الخ .

لقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ." (١)

فقد قال بعد بحث في الوسيلة مستفيض : لا أرى بأسا في التوسل الى الله تعالى بجاه النبى صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى حيا وميتا ، ويراد من الجاه معنى يرجع الى صفة من صفاته تعالى ، مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته ، فيكون معنى قول القائل : الهى أتوسل بجاه نبيك صلى الله عليه وسلم أن تقضى لى حاجتى - الهى اجعل محبتك له وسيلة فى قضاء حاجتى ، ولا فرق بين هذا وقولك : الهى أتوسل برحمتك أن تفعل كذا) (٢)

لقد تناول العلماء موضوع التوسل بكثير من البحث والتحقيق ، فهم بين المجوزين والمانعين ، أرى من المناسب أن أنقل آراءهم فى الموضوع فأبدأ هذا ببيان معنى التوسل والوسيلة .

أما الوسيلة فهى فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب به الى اللـه عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصى ، والتوسل من وسل الى كذا

---

(١) سورة المائدة آية ٣٥

(٢) مقدمة احياء السنة ص ٦ -٧ ، أنظر أيضا أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى المتوفى ١٢٧٠ هـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى جـ ٦ ص ١٢٥ - ١٢٦

أى تقرب اليه بشئ ، قال العلامة ابن كثير : " والوسيلة هى التى يتوصل بها الى تحصيل المقصود ، والوسيلة أيضا علم على أعلى منزلة فى الجنة ، وهى منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وداره فى الجنة وهى أقرب أمكنة الجنة الى العرش" (١) هذا ولم يختلف أحد من العلماء على الوسيلة بمعنى علم على منزلة فى الجنة خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وانما الخلاف فى الوسيلة بمعنى ما يتقرب به الى الله لتحصيل المقصود .

رأى بعض العلماء جواز التوسل مطلقا لأن الشارع الحكيم قد دعا اليه بقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ." [المائدة آية ٣٥] وهو من سنن المرسلين ، وسيرة السلف الصالحين واثبتوا ذلك بأدلة نقلية وعقلية متعددة ، يقول الشيخ محمد حامد الفقى : " لولا ما تستهدف من مزايا على المستجيبين بالخير

---

(١) الحافظ عماد الدين ابن كثير المتوفى ٧٧٤ هـ ـ تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٥٣ ،
أنظر أيضا القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى جـ ٤ ص ٦٥ ، ضياء التأويل فى معانى التنزيل لأبى محمد عبد الله ابن عثمان بن فودى ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٨٠ هـ ١٩٦١م جـ ١ ص ٢٣٧

ومنافع وثمرات عظيمة الشأن بجنونها ، ما توجهت الدعوة ولا كان النداء ، اذ لا يعقل أن يوجه الشارع دعوة الى أمر لا يكون من ورائه مصلحة دينية ودنيوية ، ولا يتصور أن تدعو الشريعة الى التدين بشيء لا يحمل أروع سعادة وأسمى منفعة وأطيب ثمرة ، فكل دعوة شرعية ، وكل تكليف سماوى انما يكون لصالح المجتمع وخير الانسانية وسعادة البشرية ... الى أن قال .. والذى تجب الاشارة اليه ، وعليه المعوّل فى هذا الشأن أن يكون للمتوسل به قدر ومنزلة وجاه عند المتوسل اليه ، واللفظ فى الآية عام يشمل التوسل بالأعمال ، والتوسل بالذات ، اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " (١)

ويستدل على جواز التوسل بالذوات بقوله " فقد روى أن معاوية رضى الله عنه استسقى بيزيد بن الأسود فقال : اللهم انا كنا نستسقى بخيرنا وأفضلنا اللهم انا نستسقى بيزيد بن الأسود ، يا يزيد ارفع يديك الى الله فرفع يديه ورفع الناس أيديهم ، فنشأت سحابة من الغرب كأنها ترس ، وهب لها ريح فسقوا حتى كاد الناس لا يبلغون منازلهم ، ولا فرق فى ذلك بين أن يكون المتوسل به حيا أو ميتا " (٢)

---

(١) الشيخ محمد حامد الفقى ـ التوسل والزيارة فى الشريعة الاسلامية ، الطبعة الأولى ١٩٦٨م ص ١٣٦ - ١٤٠

(٢) نفس المرجع ص ١٤٧

ويقول السمهودى : " الاستغاثة والتشفع بالنبى صلى الله عليه وسلم وبجاهه وبركته الى ربه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين .. واستدل بما رواه جماعة منهم الحاكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة ، قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لى ، فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟؟ قال يا رب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت في من روحك ، رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا ، لا اله الا الله محمد رسول الله ، فعرفت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم انه لأحب الخلق الى ، ان سألتنى بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك "(١) رواه الطبرانى .

كما استدل بما رواه النسائى والترمذى فى جامعه عن عثمان ابن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

---

(١) نور الدين على بن أحمد السمهودى المتوفى ٩١١ هـ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار احياء التراث العربى بيروت جـ ٢ ص ١٣٧١ - ١٣٧٢

أدع الله لي أن يعافيني : قال : ان شئت وان شئت صبرت فهو خير لك ، قال : فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد اني توجهت بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم شفعه في ـ صححه البيهقي وزاد " فقام وقد أبصر ") (١)

فهؤلاء يجيزون التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم مطلقا ، ولا فرق عندهم بين أن يكون حيا أو ميتا ، وأما الفريق الثاني وعلى رأسهم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية فانهم لا يجيزون التوسل بالذوات ويردون حديث الجاه (٢) بأنه " كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث " (٣)

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : (لفظ التوسل يراد به ثلاثة معان : أحدها : التوسل بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهذا فرض ، لا يتم الايمان الا به .

---

(١) رواه ابن ماجه في باب صلاة الحاجة ج١ ص٤٤١ ، والامام أحمد في مسنده ٤/١٢٨

(٢) وهو ما يردده بعض الناس ويسندونه الى النبي عليه الصلاة والسلام (اذا سألتم الله فاسئلوه بجاهي ....)

(٣) ابن تيمية ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٣٩٠هـ ص١٢٩

الثانى : التوسل بدعائه ، وشفاعته صلى الله عليه وسلم ، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة .

الثالث : التوسل به بمعنى الأقسام على الله بذاته ، والسؤال بذاته ، فهذا هو الذى لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته "(١)

واستدل التوسل بالطاعات والأعمال الصالحة بحديث أصحاب الغار الذى رواه البخارى وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " انطلق ثلاثه رهط ممن كان قبلكم فآواهم المبيت الى غار ، فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا والله لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعو بصالح أعمالكم لعل الله يفرجها عنكم ، فقال رجل منهم : أنه كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر (٢) يوما فلم أرح عليهما حتى ناما ، ، فحلبت لهما غبوقهما ، فجئتهما به فوجدتهما نائمين ،

---

(١) ابن تيميه ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٥٠ ، اقتضاء الصراط المستقيم ص٤١٠

(٢) نأى بى ـ أى بعد بى ، والغبوق بفتح الغين ـ شرب اللبن مساء كالصبوح ـ بفتح الصاد شربه صباحا .

فتحرجت أن أوقظهما وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ولا مالا . فقمت
والقدح على يدى انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، فاستيقظا
فشربا غبوقهما ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فانفرج
عنا ما نحن فيه ، فانفرج انفراجا لا يستطيعون الخروج منه وقال
الآخر : اللهم انه كانت لى بنت عم ، وكانت أحب الناس الي فراودتها
عن نفسها فاستعصمت حتى ألمت بها سنة من السنين ، فجاءتني
فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت
حتى قدرت عليها قالت : لا يحل لك أن تفض الخاتم الا بحقها ،
فتحرجت من الرجوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس الي ،
وتركت الذهب الذى أعطيتها ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء
وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون
الخروج منها ، ثم قال الثالث : اللهم انى استأجرت اجراء فأعطيتهم
أجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذى له ، فثمرت أجره ، فجاءنى
بعد حين فقال : يا عبد الله أدّ الى أجرتى ، فقلت له : كل ماترى
من أجرتك من الابل والنعم والبقر والرقيق ، فقال : يا عبد الله
لا تستهزئ بى ، فقلت : انى لا استهزئ بك ، فأخذ ذلك كله
فاستاقه ولم يترك منه شيئا ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك

فاخرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة فخرجوا من الغار يمشون .(١)

كما استدل على التوسل بدعائه وشفاعته صلى الله عليه وسلم بحديث عمر رضى الله عنه " اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ".(٢)

ولا شك أن التوسل الذى يقوله ابن فودى يدخل فى التوسل من النوع الثالث لأن السؤال بجاه النبى صلى الله عليه وسلم هو المقصود من التوسل بالذات ، وهذا من أبرز وجوه الخلاف بين عقيدة الشيخ عثمان بن فودى وشيخ الاسلام ابن تيمية الذى تأثر به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونشر مذهبه .

وبعد : فان قضية التوسل كغيرها من القضايا العقدية يجب أن يراعى فيها ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم وما صح من أعمال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، فابن فودى وسائر العلماء يتفقون على مشروعية التوسل الى الله وانما الخلاف يدور حول جواز التوسل

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الاجارة

(٢) رواه البخارى فى باب الاستسقاء

بذات النبى صلى الله عليه وسلم أو الصالحين احياء أو أمواتا ، ولا ينكر أحد أن جاه النبى صلى الله عليه وسلم أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين عند الله سبحانه وتعالى .

فأما الأحاديث التى أوردها المجيزون فانها ظاهرة الدلالة على أن التوسل كان بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم لا بذاته فان الرجل الضرير طلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله له بالعافية فعلمه الدعاء وقضيت حاجته ، أما قوله " يا محمد انى توجهت بك الى ربى " قال العلماء ان الباء فى بك للاستعانة ، أى استعنت بدعائك الى ربى (١). وكون الباء للاستعانه لا مانع منه لكن صاحب هذا الرأى قدر كلمة بين الباء وبين الضمير وقال استعين بدعائك ، فما الشاهد على هذا التقدير ؟*

وكذلك حديث الاستقساء بيزيد بن الأسود ، فانهم طلبوا منه أن يرفع يديه بالدعاء الى الله ، ولم يكن معاوية رضى الله عنه ليقسم على الله به ، كما أن المسلمين لما أجدبوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليه اعرابى فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل

---

(١) أنظر جلاء العينين للألوسى ص ٤٥٤

* ... على هذا ما كان يحصل من الصحابة بالتوسل بالنبى (ص) فى حياته ، فانهم كانوا يتوسلون بدعائه >

قادع الله يغيثنا ، فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اغثنا ، اللهم اغثنا ، وما فى السماء من سحاب ولا قزعة ، فنشـأت سحابة من جهة البحر فمطروا اسبوعا (١) ، ولما أجدبوا فى عهـد عمر رضى الله عنه عدلوا عن ذلك الى من كان حيا كالعباس رضى الله عنه لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذى كانوا يفعلونـه من قبل ، فهذا ما استقر عليه رأى الصحابة رضوان الله عليهم ودرج عليه السلف الصالح . أما حديث آدم الذى رواه الطبرانى ففيـه ضعف (٢) لا يصح الاحتجاج به .

---

(١) متفق عليـه .

(٢) نفس المرجع ص ٤٥٨

الفصل الخامس : الامامـــة

يرى الشيخ عثمان بن فودى أن الامامة من الأمور التى أجمع المسلمون على وجوبها شرعا ، فلا يجوز أن تمر بالمسلمين فترة مـن الفترات لا يكون لهم فيها امام ينفذ فيهم حكم الله ويرعى مصالحهم الدينية والدنيوية . ولما كانت الامامة مرادفة للخلافة التى هى رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ، صار وجوبها ثابتا عن طريق الشرع ، ولذلك كانت طاعة الامام واجبة على كافة المسلمين ، ولا يجوز الخروج عليه وان كان الامام من العصاة المذنبين ، وفى هذا يقول فى كتابه بيان وجوب الهجرة على العباد مانصه :-

(فصل فى وجوب نصب الامام وفى وجوب طاعته وتحريم الخروج عنه وعزله الا بكفر فأقول وبالله التوفيق فاعلم ان نصب الامام واجب على المسلمين شرعا اجماعا)(١)

ومستنده فى هذا الرأى ما نقله عن اللقانى فى اتحاف المريد

---

(١) الشيخ عثمان بن فودى - بيان وجوب الهجرة على العباد ص ٢١

شرح جوهرة التوحيد من قوله (ان وجوب نصب الامام على الأمة طريقة الشرع عند أهل السنة لوجوه ـ عمدتها اجماع الصحابة رضى الله عنهم حتى جعلوه أهم الواجبات ، واشتغلوا به عن دفن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذا عقب موت كل امام الى وقتنا هذا . واختلافهم فى تعيين من يصلح خليفة غير قادح فى اتفاقهم على وجوب نصبه ، ولذا لم يقل أحد منهم لا حاجة الى الامام " (١) .

كذلك يرى شيخنا أن طاعة الامام وتحريم الخروج عليه كل ذلك ثابت بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (٢) .

وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ولو لعبد حبشى " (٣) .

وأما تحريم الخروج عنه فقد قال تعالى : " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " (٤) وقال عليه الصلاة والسلام من خلع يدا من طاعة

---

(١) بيان وجوب الهجرة على العباد ص ٢١ ، نقلا عن عبد السلام بن ابراهيم اللقانى : اتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٦٠

(٢) سورة النساء : ٥٩

(٣) رواه ابو داود

(٤) سورة آل عمران : ١٠٣

لقى الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات ليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية " . (١)

وقال ابن أبى جمرة - (ان النبى صلى الله عليه وسلم أمـــر بحفظ البيعة ، وقال : وان كان ذا زبيبتين منفوخ الخيشوم فاسمع واطع ، وان ضرب الظهر وأخذ المال ، فقيل يا رسول الله : أرأيت ان ولى علينا أمراء يطلبون حقوقهم ، ولا يعطوننا حقوقنا ، فقال عليه الصلاة والسلام اعطوهم حقوقهم واطلبوا حقوقكم من الله ، فان اللـه سائلهم عما استرعاهم ، وذلك لما يترتب عليه من عز الاسلام واظهار الاحكام وقمع الأعداء " . (٢)

فالآية التى استدل بها ابن فودى تتضمن الأمر بطاعة اللـه ورسوله وولاة الأمر من المسلمين ، ولما كان الأمر يقتضى الوجوب ، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، صار من الواجب على الأمة اقامة حاكم على الدولة يرعى شئون الأمة الدينية والدنيوية . وكذلك الاحاديث فانها تحمل معانى الطاعة المطلقة لمن يتولى أمر المسلمين ، والتحذير عن الخروج عليه .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الامارة .

(٢) بيان وجوب الهجرة على العباد ص ٢٢ - ٢٣ ، أنظر بهجة النفوس لابن أبى جمرة ج ٤ ص ٤٩

فالقول بوجوب نصب الامام ووجوب طاعته وعدم الخروج عليه الا في حالة الكفر هو ما أجمع عليه جمهور أهل السنة ، والمعتزلة والشيعة (١) ولم يختلف فيه الا فرقة النجدات من الخوارج - وهم اتباع نجدة بن عويمر من بني حنيفة - الذين يزعمون ان اقامة الامام ليست واجبة وجوبا شرعيا بل اذا أمكن المسلمون أن يتواصوا بالحق فيما بينهم وينفذوه لم يكونوا في حاجة الى اقامة امام . (٢)

وفيما يلي أذكر طائفة من أقوال العلماء وآراءهم في هذا الموضوع ليظهر مدى موافقتهم لما قاله ابن فودي : يقول العلامة ابن خلدون : " ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين ، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر اليه في أمورهم ، وكذا في كل عصر من بعد ذلك " (٣)

---

(١) غير أن للشيعة وجهة نظر خاصة ينفردون بها دون غيرهم ، فالامامة عندهم تعد أحد أركان الدين ، ولا يجوز لنبي أن يغفل أمرها بل يتعين عليه أن يختار اماما للمسلمين .

(٢) أبو زهرة - تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ١ ص ٨٢ ، الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٨٧

(٣) ابن خلدون - المقدمة - طبعة دار الشعب ص ١٧١

ويقول الماوردى : " الامامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا ، وعقدها لمن يقوم بها واجب بالاجماع " (١) .

ويقول صاحب المسامرة (ان نصب الامام واجب على الأمة عندنا مطلقا سمعا لا عقلا خلافا للمعتزلة ، لأنه قد تواتر اجماع المسلمين فى الصدر الأول حتى جعلوه أهم الواجبات وبدأوا به قبل دفن الرسول صلى الله عليه وسلم " (٢) .

أما شيخ الاسلام ابن تيمية فانه يقول : " ان ولاية الناس من أعظم واجبات الدين ، ولا قيام للدين الا بها ، فان بنى آدم لا تتم مصلحتهم الا بالاجتماع ، ولا بد لهم عند اجتماعهم من رئيس حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود عن ابى سعيد الخدرى اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا عليهم أحدهم وكذلك فقد روى عبد الله بن عمرو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض الا أمروا عليهم أحدهم " (٣)

(١) الماوردى - الأحكام السلطانية ص ٣

(٢) الكمال بن الهمام - المسامرة شرح المسايرة جـ ٢ ص ١٤١

(٣) احمد بن تيمية - السياسة الشرعية ص ٦٠

فجمهور علماء المسلمين كما يتضح مما نقلته عنهم يرون وجـــوب نصب امام يتولى أمر المسلمين ، وقد ثبت الوجوب بطريق الشرع ودليله لا بطريق العقل وما تقرره . ولا خلاف أن الامامة من أشرف مبـادىء الاسلام ، وطالما كانت الخلافة قائمة بين المسلمين فانها تعـــبر بصدق عن وحدتهم وقوة شوكتهم ، فلما ألغى هذا المبدأ فـــــي العصور المتأخرة انحلت وحدة الأمة وتماسكها وانتشرت الاهواء وتمسكت كل فئة برأيها واتسعت رقعة الخلاف بين أبناء الأمة الواحدة .

فعندما يذكرنا ابن فودى بوجوب نصب الامام فانما يذكرنا بما تتحقق به العزة للاسلام والمسلمين ، والعودة الى ما كان عليه الرعيل الأول .

ثم يمضى الشيخ ابن فودى فيقرر بعض الشروط التى يجب أن تتوفر فيمن ينصب اماما للمسلمين فيقول : (ان شروط الامام احـد عشر : -

١ - الاسلام : فلا ينعقد لكافر بالاجماع .

٢ - العدالة : لأن الفاسق ربما تصرف فى الهوى ويتعدى فتضيع الحقوق .

٣ - الذكورية ٤ - الحرية ٥ - البلوغ

٦ - العقـل .

٧ - أن يكون مجتهدا في أصول الدين وفروعه ان وجد ، والا فأمثل مقلد .

٨ - أن يكون شجاعا لا يضعف عن لقاء العدو واقامة الحدود .

٩ - أن يكون ذا رأى وسياسة بتدبير الأمور ، يقدر على الشدة في مواضعها وعلى اللين في مواضعه .

١٠ - أن يكون مقتدرا على انفاذ أمره وحكمه .

١١ - يشترط في الامام الأعظم أن يكون قرشيا ، ان وجد مع الشروط السابقة ، والا فكنانيا ، والا فمن ولد اسماعيل ، فان لم يوجد يولى أعجمى)[(١)]

فهذه الشروط كما يظهر ، يرجع معظمها الى الأوصاف النفسية لمن ينصب اماما للمسلمين لتتم له الولاية التامة . ولما كانت الغاية من نصب الامام هي حفظ الشريعة الاسلامية ، والتصرف التام في شئون المسلمين علم باضطرار أنه لا يستحقها الكافر لأن الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين وليا ، وكذلك من كان عبدا ناقص التصرف والحرية لأنه لا يملك التصرف في شئون نفسه فضلا عن شئون عامة المسلمين .

---

(١) بيان وجوب الهجرة ص ٢٤

أما العدالة:

فالمقصود بها أن يكون الخليفة مستقيما فى دينه وقدوة حسنة للرعية ، بعيدا عن البدع الاعتقادية ، مجتنبا للمحرمات وما يؤدى اليها من المشبهات . يقول ابن خلدون :-

" وأما العدالة فلأنه منصب دينى ينظر فى سائر المناصب التى هى شرط فيها كالقضاء وغيره ، فكان أولى باشتراطها فيه ولا خلاف فى انتفاء العدالة بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وأمثالها " (١)

وأما الذكورية :

فلأن التزامات الخلافة أو الامامة شاقة ومتعددة ، والرجل أقدر من المرأة فى تحمل المسئوليات والتفرغ لها والتجرد لتبعات القيادة ومقتضياتها التى منها القهر والغلبة وانفاذ الجيش كان من الصواب اشتراط الذكورية .

وقد وردت النصوص الصحيحة فى ذم نصب المرأة للقيادة . والخلافة من باب أولى منها ما رواه البخارى وأصحاب السنن :-

---

(١) المقدمة ص ١٧٢ - ١٧٣

(ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يفلح قوم ولوا أمرهم أو أسندوا أمرهم الى امرأة)(١)

أما الحرية والبلوغ :

فلأن اشتراط الحرية ضرورى جدا لأن الرق أو العبودية تستلزم نقصان التصرف ، فالذى لا يملك التصرف فى شئونه الخاصة لا يملك التصرف فى شئون الأمة . وكذلك الصبى الذى دون سن البلوغ فان العقل يحيل أن يتولى شئون الأمة ولأن الواقع العملى والعادة الجارية كلها تشهد على تولية من كان بالغا عاقلا وفى هذا يقرر ابن حزم أنه لا خلاف بين أحد من أهل الاسلام فى أنها لا تجوز لمن لم يبلغ حاشا الرافضة فانهم أجازوها .(٢)

وأما الاجتهاد :

فهو كما حدده الامام النووى قائلا : ـ

" هو أن يعرف من القرآن والسنة ما يتعلق بالأحكام وخاصه وعامه ، ومجمله وبيانه ، وناسخه ومنسوخه ، ومتواتر السنة وغيره ، والمتصل

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الفتن ج٤ ص٢٢٨، والترمذى ج٩ ص١١٩

(٢) ابن حزم ـ الفصل فى الملل والنحل جـ ٤ ص ١٦٧

والمرسل ، وحال الرواة قوة وضعفا ولسان العرب لغة ونحوا وأقوال العلماء من الصحابة فمن بعدهم اجماعا واختلافا والقياس وأنواعه" (١)

وقد نقل الامام الغزالى الاجماع على اشتراط العدالة فى الامامة. (٢)

مجمل القول ان الذى يتولى امامة المسلمين ينبغى أن يكون ذا درجة عالية من العلم يتوصل به الى معرفة الأمور المستجدة ، واذا تعذر ذلك لجأ المسلمون الى اختيار أمثل مقلد وهو من كان أكثرهم التزاما بالاسلام . ولا يكتفى الامام بأن يكون ملما بالعلوم الدينية ، فطبيعة هذا المنصب تقتضى الاشراف على الشئون السياسية بين المسلمين واعدائهم ومعالجتها بمنتهى الدهاء وقد عبر العلماء عن اشتراط الثقافة السياسية للامام بعبارات مختلفة كلها تؤدى معنى واحدا . يقول البغدادى : " انه الاهتداء الى وجوه السياسة وحسن التدبير" (٣) ويقول الايجى " أن يكون ذا رأى وبصارة بتدبير الحرب والسلم .." (٤)

---

(١) النووى - شرح المنهاج جـ ٨ ص ٨٢

(٢) الغزالى - الرد على الباطنية ص

(٣) البغدادى - أصول الدين ص ٢٧٧

(٤) الايجى - شرح المواقف جـ ٨ ص ٣٤٩

ويقول النووى : " أن يكون ذا رأى ليسوس به الرعية ويدبر مصالحهم الدينية والدنيوية . . " (١)

ويقول ابن خلدون : " أن يكون جريئا على اقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها " (٢)

أما الشجاعة :

فلأن صلاح أمر الرعية يعتمد على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما لا يتحققان الا ممن يحسن التصرف بين الناس على مختلف طبقاتهم وتباين ميولهم فيأخذ الناس بالجد فى موطنه وباللطف فى موطنه ومنه يعلم ضرورة اشتراط العقل والشجاعة فيمن ينصب اماما للمسلمين .

فمن لم يكن متصفا بهذه الصفات اللازمة فليس أهلا للامارة ، وان طلبها فلا يجوز اعطاؤها له لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد منعها عن الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى لضعفه ، ففى صحيح مسلم

---

(١) النووى - شرح المنهاج جـ ٧ ص ١٢٠

(٢) ابن خلدون - المقدمة ص ١٦١

" ان أبا ذر سأل النبى صلى الله عليه وسلم الامارة فقال انك ضعيف وانها أمانة وهى يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى ما عليه فيها " (١) .

ويقول امام الحرمين الجوينى : " ومن شرائط الامامة أن يكون الامام متصديا الى مصالح الأمور وضبطها ، ذا نجدة فى تجهيز الجيوش وسد الثغور ذا رأى حصيف فى نظر المسلمين ، لا تزعه هوادة نفس وخور طبيعة عن ضرب الرقاب والتنكيل بمستوجبى الحدود " (٢)

وهكذا يتبين أن هذه الشروط التى ساقها ابن فودى قد أوردها قبله جمهور غفير من العلماء ، وهى كلها تخدم وجوب اسناد أمر المسلمين الى من هو أصلح وأقدر لحمل المسئولية .

-----

(١) رواه مسلم فى كتاب الامارة .
(٢) امام الحرمين الجوينى - الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد ، تحقيق د / محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد ، مطبعة السعادة ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠م ص ٤٢٦

القرشـــية (١)

وأما اشتراط النسب القرشي في الامامة الكبرى فقد اختلفـــت آراء العلماء فيه ، فذهب جمهور أهل السنة الى التمسك بهـــذا الشرط نظرا للأدلة الواردة فيه من الشرع والتي من أهمها قوله صلى الله عليه وسلم " لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان " (٢) وقوله صلى الله عليه وسلم " ان هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد الا كبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين " (٣) وقوله " الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم " (٤).

---

(١) النسب القرشي كما أورده البغدادي هم بنو النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركه بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (أنظر الفرق بين الفرق ص ٣٤٩)

(٢) رواه مسلم في باب الخلافة في قريش جـ ١٢ ص ٢٠١ ورواه البخاري في باب مناقب قريش جـ ٢ ص ٢٦٥

(٣) رواه البخاري في باب مناقب قريش جـ ٢ ص ٢٦٥

(٤) رواه مسلم في كتاب الامارة جـ ١٢ ص ١٩٩

فهذه الأحاديث صحيحة لا مجال للطعن فيها - سندا ومتنا -

وهي وان اختلفت في الألفاظ الا أنها تقرر بوضوح أن الخلافة يجب

" ان أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم الامارة فقال انك ضعيف وانها أمانة وهي يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى ما عليه فيها ".(١)

ويقول امام الحرمين الجويني : " ومن شرائط الامامة أن يكون الامام متصديا الى مصالح الأمور وضبطها ، ذا نجدة في تجهيز الجيوش وسد الثغور ذا رأى حصيف في نظر المسلمين ، لا تزعه هوادة نفس وخور طبيعة عن ضرب الرقاب والتنكيل بمستوجبي الحدود "(٢)

وهكذا يتبين أن هذه الشروط التي ساقها ابن فودى قد أوردها قبله جمهور غفير من العلماء ، وهي كلها تخدم وجوب اسناد أمر المسلمين الى من هو أصلح وأقدر لحمل المسئولية .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الامارة .

(٢) امام الحرمين الجويني - الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، تحقيق د / محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد ، مطبعة السعادة ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠م ص ٤٢٦

فمثلا قوله صلى الله عليه وسلم " لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان " لو حمل على الاخبار بالغيب لما وجدناه متحققا فى عصور متطاولة من حياة الأمة الاسلامية مع أنه يفيد تحقق الأمر فيهم ما دام لهم وجود بين الناس ، لا أن يقل عدد الموجودين منهم عن شخصين اثنين . واذن فحمله على التشريع - دون الاخبار بالغيب - يصبح متعينا .

ويقول الدكتور محمد ضياء الدين الريس : " يبدو من العجيب حقا أن يكون الاسلام قد أصر على وجوب تحقيق شرط النسب ، وخص قبيلة معينة هى قريش بهذا الامتياز وحصر فيهم هذا الأمر ، وذلك فى الوقت الذى تتوارد فيه الآيات والأحاديث الداعية الى مبدأ المساواة ، مؤكدة هذا المعنى ، فالله سبحانه يقول " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم . . " (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام " ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية والتفاخر بالآباء والأجداد " (٢)

---

(١) سورة الحجرات : ١٣

(٢) رواه أبو داود فى باب التفاخر بالأحساب ، أنظر سنن أبى داود جـ ٢ ص ٦٢٤ ، الطبعة الأولى ١٩٥٢م

وقال أيضا " يا أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى " (١) وغير هذا كثير ، ومن الحقائق الثابتة - تاريخيا - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أسامة ابن زيد - مولاه - على كبار المهاجرين والأنصار ، ثم نفذ ذلك أبو بكر رضي الله عنه ، فالمسألة تبدو غريبة اذن ولا يصير من المفهوم كيف يتشدد أهل السنة في الاستمساك بهذا الشرط (٢))

ان أسلوب هذا الكاتب الكبير أسلوب عجيب ، ان له أن يقول كما قال غيره ان الأحاديث الواردة بخصوص القرشية ليست صريحة في جعل القرشية شرطا فيمن يكون خليفة للمسلمين اذ يبدو أنها من قبيل الأخبار بما سيكون ، أو يقول ان الأدلة متعارضة وأحد جانبي التعارض أقوى من الآخر فنرجحه ، ان له أن يقول هذا أو شيئا مثله مما يشبه كلام العلماء . أما أن يسوق الكاتب قولا هو أشبه بالاستهجان والسخرية من الاسلام لورود قول فيه تسنده أحاديث صحيحة ، ومن تمسك أهل السنة بهذا القول ، فهذا ما لا أرضاه له ولا أقبله .

---

(١) رواه الامام أحمد في مسنده جـ ٥ ص ٤١١

(٢) د / محمد ضياء الدين الريس - النظريات السياسية الاسلامية ، الطبعة السادسة ص ٢٩٩

ومن العلماء من علل هذه النصوص ببقاء العصبية - بمعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينص على قريش الا لما لها من العصبية والمنعة ، فاذا زالتا فلا معنى لاشتراط النسب القرشى كما يقول العلامة ابن خلدون (لابد اذن من المصلحة فى اشتراط النسب ، وهى المقصود من مشروعيتها ، واذا سبرنا وقسمنا لم نجدها الا اعتبار العصبية التى تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب، فتسكن اليه الملة وأهلها ، وينتظم حبل الألفة فيها ، وذلك ان قريشا كانوا عصبة مضر وأصلهم ، وأهل الغلب منهم ، وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف ، فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم ، فلو جعل الأمر فى سواهم لتوقع افتراق الكلمة . . . فاذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلمنا أن الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا أمة علمنا أن ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها "[1]

ان فى انتهاء ابن خلدون الى هذه النتيجة ، اذ أثبت ان

---

(١) المقدمة ص ١٧٤-١٧٥

اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب

... الخ بعد قوله " فاذا سبرنا وقسمنا لم نجد الا اعتبار العصبية

التى تكون بها الحماية والمطالبة ، ويرتفع الخلاف والفرقة .. الخ "

قفزة الى نتيجة لم يسبقها ما يبررها . فهو لم يذهب الى أن الأحاديث

الواردة فى الباب هى من قبيل الاخبار بالغيب لا من قبيل التشريع كما

ذهب غيره ، ولكنه سلم أن القرشية شرط وردت به النصوص . ولكنه

جعل هذا الشرط مشروطا بشروط هى توفر العصبية والغلب والحماية

ليرتفع الخلاف والفرقة ، وادعى انه تحصل على الشروط التى اشترطها

فى جعل القرشية شرطا فيمن يلى أمر المسلمين عن طريق السبر

والتقسيم واذا كان سبره وتقسيمه أداه الى أن لا يقبل القرشية شرطا

الا اذا تحقق لها ما اشترطه لها - من العصبية والمنعة والحماية

والغلب - فهل عمى سبره وتقسيمه عن النص الذى جعل القرشية

فيمن يولى أمور المسلمين مطلقة غير مقيدة بما قيدها به ، وقد كان فى

وسعه أن يعتبر شرطا اعتبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله :

" ما أقاموا الدين " .

أما الدكتور محمد يوسف موسى فانه يقول " نرى أن هذا الشرط

غير واجب الآن ذلك لأن الأحكام يجب أن ترد الى عللها ، والحكم كما

هو معروف يتبع علته وجودا وعدما ، وقد زالت منذ قرون طويلة ما كان لقريش من العصبية القوية ، والنفوذ الغالب ، وأصبحت العصبية والنفوذ لغيرها ، فلا معنى لاشتراط هذا الشرط الذى زالت علته" (١)

أقول أن التعليل بالعصبية يرده قوله صلى الله عليه وسلم : "لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان" (٢) واذا ثبت عدم صحة ما عللوا الحكم به ، لم يرتبط الحكم بتلك العلة فلا يضر زوالها ويبقى الحكم ثابتا . وهكذا يتبين ان تعليل العلماء لهذه الأحاديث ضرب من الاجتهاد . ولا ينكر أحد أن تركيب المجتمع فى ذلك العصر قد جعل قريشا فى محل الصدارة فكانت العصبية لها قوية ، وقد أذعن الأنصار لأبى بكر الصديق رضى الله عنه فى اجتماع سقيفة بنى ساعدة بعد أن ذكرهم بأن العرب لن ترضوا الا لهذا الحي من قريش . وان كنت أرى أن هذه الأحاديث لم تتعرض لما ذكره العلماء من التعليلات السالفة الذكر .

---

(١) د . محمد يوسف موسى ـ نظام الحكم فى الاسلام ، دار المعرفة بالقاهرة ، الطبعة الثانية ص ٤٠

(٢) متفق عليه .

على كل حال ، فان المسألة لا تعدوا أن تكون ضمن المسائل التي تخضع للاجتهاد لأن الوقائع التاريخية الاسلامية قد شهدت كثيرا من الخلفاء من غير قريش وقد أقاموا الدين ودافعوا عن الشريعة ، وقد نص في بعض الروايات على هذا القيد بقوله :

" ما أقاموا الدين " .

-----

*

الفصل السادس

بين الشيخ عثمان بن فودى والشيخ محمد بن عبد الوهاب

شهد العالم الاسلامى موجة من حركات البعث والاصلاح الدينى فى القرن الثالث عشر الهجرى وقد قامت هذه الحركات فى بيئات طغت عليها مظاهر الكفر وانتشر فيها الشرك ، وقد أدت هذه الحركات دورها فى العودة بالاسلام الى أصوله الأولى ومنابعه الصافية .

وان على رأس تلك الحركات رجالا التزموا منهج السلف فى فهم العقيدة والتمسك بالكتاب والسنة ، أدرك قادة هذه الحركات أن مصدر هذا التدهور والانحلال هو ابتعاد المسلمين عن الاسلام الصحيح ، فعقدوا العزيمة على أن صلاح هذه الأمة لا يتم الا بمقدار تمسكهما بالكتاب والسنة عملا بقوله صلى الله عليه وسلم " تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم "(١) فوضعوا لأنفسهم منهجا عمليا ساروا عليه ، وتمكنوا بتوفيق من الله تعالى من احداث تغييرات هامة سجلها التاريخ ، ونجحوا فى احلال الحكومة الاسلامية محل الحكومات الوثنية فى أوطانهم .

(١) رواه أبو داود

ومن أبرز هؤلاء المجددين ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذى قام بالدعوة والاصلاح الدينى فى بلاد نجد ، ثم كون دولة بالتعاون مع الأسرة السعودية فى الجزيرة العربية ، وكذا الشيخ عثمان بن فودى الذى قام بالدعوة الاصلاحية فى المنطقة المعروفة اليوم بشمال القطر النيجيرى ، ثم استطاع أن يؤسس دولة اسلامية على انقاض ممالك الهوسا الوثنية ويرى بعض المؤرخين أن حركة الشيخ عثمان بن فودى فى بلاد الهوسا أنما هى امتداد لحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى نجد ، ويؤكدون أن الشيخ عثمان قد أدى فريضة الحج واتصل بعلماء الدعوة السلفية بمكة فتأثر بدعوتهم فأيقظ هذا التأثر فيه رغبة ملحة فى الاصلاح يقول الاستاذ توماس أرنولد ـ وهو أول من قال هذا الرأى [١] (وحول نهاية القرن الثامن عشر الميلادى " ظهر بين جماعة الفلانى [٢] رجل معروف يدعى الشيخ عثمان بن فود يو عرف بأنه مصلح دينى وداع محارب ، وقد ذهب من السودان الى مكة لأداء فريضة الحج فعاد من هناك مليئا بالحماس

---

(١) الدعوة الى الاسلام ص ٣٦٠

(٢) أسم قبيلة الشيخ عثمان

والخيرة من أجل الاصلاح والدعوة للاسلام ، وتأثر بمبادئ الوهابيين (١) الذين كانت قوتهم آخذة في النماء في الوقت الذي زار فيه مكة "

وقال الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي وهو يتحدث عن انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية " أما في السودان فقد كان الداعية هو الشيخ عثمان بن فودي أحد أفراد قبيلة الفولا ، وهي من قبائل الرعاة السودانيين ، فانه بعد التقائه بعلماء الدعوة في موسم الحج ، وبعد اعتناقه المبادئ التي دعا اليها الشيخ ، عاد الى بلاده ، وأخذ يحارب البدع الشائعة بين عشيرته وقومه ، ويعمل للقضاء على بقايا الوثنية وعبادة الأموات التي كانت لا تزال مختلطة بالعقيدة الاسلامية في نفوس السودانيين ، وأخذ ينشر تعاليم الدين الاسلامي الصحيحة ، ويذيع مبادئ الشيخ محمد بن عبد الوهاب " (٢)

---

(١) جرت عادة الباحثين نسبة الدعوة الى عبد الوهاب فيقولون "الدعوة الوهابية" وهي تسمية خاطئة لفظا ومعنا ، أما الخطأ اللفظي فلأنه نسبة الى من ليس له أي مجهود يذكر في الدعوة وهو عبد الوهاب والد الشيخ محمد ، فكان الأولى أن تنسب الدعوة الى قائدها الحقيقي وهو الشيخ محمد فيقال مثلا " الدعوة المحمدية " ، أما الخطأ المعنوي فلأن الدعوة انما هي صرخة الى التمسك بما كان عليه السلف الصالح فكان ينبغي أن يراعى ذلك في النسبة فتسمى بالدعوة السلفية مثلا ، وقد التزمت هذه التسمية في البحث .

(٢) أحمد بن حجر آل أبو طامي ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٧٧-٧٨

ويذهب الدكتور محمد البهى الى أبعد من ذلك فيقول :

(عثمان بن فودى هو أحد القلة من العلماء الذين تتلمذوا على كتب ابن تيمية بعد أن اتصلوا بها فى مكة عن طريق محمد بن عبد الوهاب وهو ثانى أثنين من أصحاب الحركة السلفية من بين هؤلاء القلة فى أفريقيا أما الآخر فهو محمد بن على السنوسى (١٢٧٦ هـ ١٨٥٩م) فى شمال افريقيا) .[1]

فهذه النصوص تفيد أن اشعاعات حركة الاصلاح فى الجزيرة العربية نفذت الى غرب افريقيا عبر منفذ واحد وهو الحج ، وتقرر أن الشيخ عثمان قد التقى بعلماء الدعوة السلفية أثناء أدائه فريضة الحج بمكة .

غير أن البعض الآخر من العلماء ينكرون أن يكون بين الحركتين أى صلة تذكر ، ويقررون أنه لم يثبت أن الشيخ عثمان قد أدى فريضة الحج . يقول الشيخ آدم عبد الله الالورى[2] (افترض الأفرنج وبعض من نقلوا عنهم أن ابن فودى حج الى بيت الله الحرام واجتمع بعلماء

---

(١) مقدمة احياء السنة واخماد البدعة ص ج .

(٢) الاسلام فى نيجيريا ص ٩٩ - ١٠٠

الدعوة الوهابية وتأثر بها ، ولما رجع الى بلاده قام باصلاحه وجهاده ،
وذلك الافتراض مبنى على الظن والتخمين لا أساس له فى حياة ابن فودى كلها ، ولا علاقة بين دعوة ابن فودى ودعوة ابن عبد الوهاب"
ويبرهن على صحة قوله (بأنه لم يكتب الله لابن فودى حجا ولا عمرة ولم يخرج مطلقا من حدود بلاده الى بلاد العرب ، ولو أنه حج أو زار بلدا من بلاد العرب لكتب ذلك فى مؤلفاته) كما يرى أن الفترة الزمنية بين استقرار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الحجاز لا تسمح بالتقاء الحركتين وأخذ أحدهما عن الأخرى ، هذا الى جانب الاختلاف فى أصول دعوتهما .

نعم انه لا ينكر أحد دور علماء الدعوة السلفية فى نشرها ، ومكانة الحج فى جمع شمل المسلمين وما يترتب على هذا من التعارف على ما عند الآخرين من المبادىء والأسس ، ولكن المصادر الأصلية التى بين أيدينا لم تذكر أن الشيخ عثمان قد حج البيت الحرام ، وانما اكتفى بذكر حنينه نحو الديار المقدسة ، وقد عبر عن هذا الحنين الذى ظل يراوده طيلة حياته فى قصيدة له جاء فيها :

هل لى مسيرة نحو طيبة مسرعا * لأزور قبر الهاشمى محمد (١)

---

(١) تزيين الورقات ص ٨

ولا شك انه لو تم له الحج لسجله فى مؤلفاته ، ولنقله عنه تلاميذه الذين حرصوا على تسجيل كل مراحل حياته ، ولكن وجود اتجاه سلفى عند الشيخ عثمان حقيقة ثابتة وتتمثل فى حركته الاصلاحية والدفاع عنها بالسيف والقلم معا ، فالخلاف اذن هو فى سر هذا الاتجاه هـــل هو راجع الى تأثره بمبادئ حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو الى أمر آخر ، فالجواب عن هذا يتطلب دراسة كلتا الحركتين بشئ مـــن التفصيل وهذا يخرج بنا عن نطاق هذه الرسالة، وكما أن هنـــــاك أوجه تطابق بين الحركتين وإن هذا التطابق يتماثل فى أمور كثيرة منها :

١ ـ الدعوة الى الرجوع الى الكتاب والسنة لأن فيها عزة الاسلام والمسلمين ومحاربة البدع التى أحدثها الناس فى الدين .

٢ ـ الدعوة الى تحقيق التوحيد ، وتطهير العقيدة من شوائب الشرك والخرافات التى كانت منتشرة فى المجتمع حينذاك .

٣ ـ اتخاذ الجهاد فى سبيل الله وسيلة لنشر الدعوة واقامة دولـــة تحكم بشريعة الله .

وعلى الرغم من ذلك فان هناك جوانب تختلف فيها حركة ابن فودى عن حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، نذكر من أهم هذه الجوانب : ـ

١ - أن الشيخ عثمان يتمسك بمذهب الامام مالك فى المسائل الفرعية ويهنقل عن علماء المالكية كابن فرحون ، وابن الحاج ، أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فانه يميل الى مذهب امام أهل السنة - أحمد بن حنبل - فى الفروع ويتمسك به فى كثير من المسائل .

٢ - أن الشيخ عثمان بن فودى يؤول الصفات الخبرية وفق رأى متأخرى الأشاعرة كما ذكرت فى بابه ، والدارس لمؤلفاته العديدة يجده ينقل عن السنوسى فى عقائده الصغرى والوسطى والكبرى ، والامام المغيلى ، واللقانى والغزالى ، وكل هؤلاء من كبار الاشاعرة أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فهو سلفى العقيدة من مدرسة الشيخ أحمد بن تيمية رضى الله عنه ، فهم لا يؤولون الصفات وانما يثبتونها كما وردت من دون تكييف ولا تعطيل .

٣ - أن الشيخ عثمان يتوسل بجاه النبى صلى الله عليه وسلم فى مؤلفاته ، الأمر الذى لا يجيزه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وانما التوسل الثابت عنده هو ما كان بالأعمال الصالحة أو بدعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم كما أسلفت فى بابه .

٤ - أن الشيخ عثمان لم يجد مساندة من الملوك والأمراء ممن عاصرهم الا تلك التسهيلات الضئيلة التى حصل عليها من الأمير باوا ،

ولم يلبث أن ألفيت بعد تولى ابنه نفاتا مقاليد الحكم ، بخلاف دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب التى وجدت قبولا مطلقا من الأمير محمد بن سعود (أمير درعية) وكان لهذا الثقل السياسى دوره الكبير فى تمكين الدعوة ونصرتها .(١)

(والواقع أن تأثر هؤلاء المصلحين بالدعوة السلفية يصبح أمرا مسلما اذا وضعنا أمامنا عدة أمور أهمها : -

١ - الدعوة السلفية ان لم تكن قد أثرت تأثيرا مباشرا على الحركات الاصلاحية التى ظهرت بعدها فلا أقل من أن تكون قد مهدت لها وقويت عزائم القائمين بها ، ذلك ان الدعوة السلفية كانت - بحق - أجرأ دعوة قامت فى وجه ظلام كثيف ، فهى من هـذا الجانب كانت رائدا جريئا وجد فيها المترددون والمتوجسون من المصلحين وأصحاب الدعوة قدوة يقتدون بها وأثرا صالحا يسيرون على هداه فى جميع أدوار حركاتهم الاصلاحية .

٢ - التقارب الزمنى بين تلك الدعوات والدعوة السلفية دليل على أن هذه الدعوة هى التى تمخضت عن ميلاد هذه الدعوات والحركات

---

(١) أنظر لوثروب ستودارد - حاضر العالم الاسلامى ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ص ٢٦١ - ٢٦٢

الاصلاحية أو عجلت بميلادها ، فاذا كانت بداية ظهور حركة الدعوة السلفية فى الجزيرة العربية هو النصف الثانى من القرن الثامن عشر الميلادى ثم استمرت بعد ذلك فان ظهور دعوة السنوسى فى ليبيا كان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ومثلها حركة البارلى فى الهند وحركة عثمان بن فودى فى غرب افريقيا ، ثم جاء بعد ذلك حركة جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى مصر وهكذا .

٣ - تقارب الأحوال وتشابه الظروف ، ذلك ان العالم الاسلامى كان وقت ظهور هذه الدعوات فى ظروف متشابهة من حيث الانحطاط فى النواحى الدينية والسياسية والاجتماعية ، وقد أدى هذا الى وحدة الشعور بالحاجة الى الاصلاح ، ومن ثم كان قيام الدعوة السلفية حافزا شجع غيرها من الدعوات على السير فى نفس المنهج من قريب أو بعيد .

٤ - أن تأثر أى دعوة بالأخرى لا يعنى اعتناقها لجميع مبادئها الأساسية والفرعية ، بل يكفى أن تتأثر ببعض أو اهم هذه المبادى (١)

سواء أصبح القول بتأثر ابن فودى بالدعوة السلفية من كل الوجوه أو من بعضها فلن يضيره أن تلحق دعوته بدعوة الشيخ عبد الوهاب لاتفاقها فى الأصول ، ولن يضيره كذلك اذا اعتبرت مجرد اتفاق خواطر .

---

(١) محمد عبد الله السلمان - أثر الدعوة السلفية فى العالم الاسلامى (مقال) مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد الأول ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م ص ٤٤٠ - ٤٦١

-((الخاتمـــة))-

وبعد هذه الدراسة المستفيضة لحركة الشيخ عثمان بن فودى وآرائه فى المسائل الاعتقادية ننتهى من هذه الرسالة بعد أن توصلنا الى بعض النتائج الهامة أجملها فيما يلى : -

١ - ان فساد الأحوال السياسية والاجتماعية والدينية فى بـــلاد الهوسا كان حافزا لقيام ابن فودى بحركته الاصلاحية التى تهدف الى الرجوع الصادق الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليـــه وسلم .

٢ - ان ابن فودى قد نشأ فى بيت العلم وبدأ حياته العلمية منذ الصغر وتتلمذ على عدد كبير من مشاهير العلماء وكان أكثر تأثرا بالامام المغيلى والشيخ جبريل بن عمر .

٣ - ان ابن فودى قد خلف عددا كبيرا من المؤلفات القيمة فى مختلف المجالات ولم يزل معظم هذا التراث مخطوطا أو فى حكـــم المخطوط وتجدر العناية بتحقيقها ودراستها .

٤ - ان جهاد ابن فودى كان لاعلاء كلمة الله واحلال الحكومة الاسلامية محل الحكومة الوثنية وليس بدافع العصبية كما يزعم بعض الباحثين .

٥ - أن ابن فودى قد سلك فى الاستدلال على وجود الله خمسة طرق معتمدا على نصوص الكتاب والسنة وقد بينت مدى صحة هذه الطرق .

٦ - أن ابن فودى يوافق متأخرى الاشاعرة فى اثبات الصفات النفسية والسلبية ، والمعنوية والمعانى ويؤول الصفات الخبرية ، وقد بينت المنهج الصحيح فى الصفات هو اثبات كل ما وصف الله به نفسه من الصفات ، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من دون تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل .

٧ - أن ابن فودى يوافق السلف فى اثبات رؤية المؤمنين لله عز وجل فى الآخرة ، وقد أثبت ذلك بالأدلة الشرعية .

٨ - أن ابن فودى يقول بعصمة الأنبياء عن الأوصاف التى تخل بالمروءة كالكذب والخيانة والكتمان ، وان ما أيدهم الله به من المعجزات ثابتة .

٩ - أن ابن فودى يؤمن بالأمور الغيبية التى وردت فيها النصوص الشرعية ، ولم يتناولها بالنفى ، وانما نفى أن يكون هو المهدى المنتظر فى آخر الزمان .

١٠ - أن ابن فودى يرى جواز الاشتغال بعلم الكلام لمن كان متبحرا فى العلم دون العوام من الناس .

١١ - أن ابن فودى يتوسل بجاه النبى صلى الله عليه وسلم فى مؤلفاته وقد بينت أنه خالف السلف فى هذا ، لأن التوسل الصحيح الذى وردت به الآثار هو ما كان بالأعمال الصالحة كتوسل أصحاب الغار بصالح أعمالهم وكتوسل الصحابة رضوان الله عليهم بدعاء العباس رضى الله عنه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . كما يكون بدعاء الرسول (ص) فى حياته وبشفاعته للمؤمنين من أمته يوم القيامة ان شاء الله .

١٢ - أن ابن فودى وان لم يثبت أنه نقل عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى مؤلفاته ولم يثبت كذلك أنه حج بيت الله الحرام فان ذلك لا ينفى أن يكون قد تأثر بالحركة السلفية وذلك لما بين الحركتين من التطابق فى الهدف والمنهج ، اذ التأثر بالشئ لا يشترط أن يكون شاملا لجميع جوانبه .

وفى الختام أرجو أن أكون قد وفقت لاعطاء الصورة الحقيقية عن دعوة الشيخ عثمان بن فودى وعقيدته ، كما أرجو أن أكون قد أضفت دراسة جديدة لتاريخ الدعوة الاسلامية وحركاتها الاصلاحية فى غرب القارة الأفريقية .

والله من وراء القصد وهو الهادى الى سواء السبيل ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ..

٥٥٥٥
٥

المراجـــــع

١ - القرآن الكريـم :

مؤلفات الشيخ عثمان بن فودى

١ - احياء السنة واخماد البدعة

المكتبة الأفريقية للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة

٢ - الأجوبة المحررة عن الأسئلة المحررة (مخطوط)

مركز تقييد الوثائق العربية بجامعة اباد ن تحت رقم سى

أى دى ١٤٠

٣ - ارشاد العباد الى أهم مسائل الجهاد (مخطوط)

مستودع السجلات الوطنية كادونا

٤ - ارشاد أهل التفريط والافراط (مخطوط)

مكتبة بلدية سوكوتو

٥ - أصول الدين (مخطوط)

مركز تقييد الوثائق العربية بجامعة اباد ن تحت رقم سى اى

دى ٢٥

٦ - أصول العدل (مخطوط)

مكتبة جامعة اباد ن تحت رقم ٨٢/٩٣

٧ - بيان البدع الشيطانية

طبع مطبعة المشهد الحسيني ببروت

٨ - بيان وجوب الهجرة على العباد

طبع زاريا

٩ - تبصرة المبتدىء في أصول الدين (مخطوط)

مكتبة جامعة عبد الله بايرو بكنو ، تحت رقم ٤١٩

١٠ - تحذير الاخوان من ادعاء المهدية الموعودة آخر الزمان (مخطوط)

مكتبة جامعة عبد الله بايرو بكنو تحت رقم ٥٣٧

١١ - تحفة الحبيب (مخطوط)

مكتبة جامعة عبد الله بايرو بكنو تحت رقم ٥٤٧

١٢ - تحقيق العصمة لجميع طبقات هذه الأمة (مخطوط)

مركز تقييد الوثائق العربية بجامعة ابادن ، تحت رقم

سى اى دى ٢٠

١٣ - تعليم الاخوان (مخطوط)

مكتبة جامعة ابادن تحت رقم ٨٢/٢٥٤ و ٢٥٧

١٤ - تمييز أهل السنة

مطبوع ملحق بكتاب بيان البدع الشيطانية ، مطبعة

المشهد الحسيني ببروت.

١٥ - تنبيه الطلبة على أن الله معروف بالفطرة (مخطوط)

مكتبة جامعة عبد الله بايرو بكنو تحت رقم ٥٣٨

١٦ - تنبيه الغافلين (مخطوط)

مكتبة جامعة ابادن تحت رقم ك ٨٢/٨٧

١٧ - تنبيه الأمة على قرب هجوم اشراط الساعة (مخطوط)

مكتبة جامعة عبد الله بايرو بكنو

١٨ - حصن الافهام من جيوش الأوهام

مطبعة الزاوية التيجانية بالقاهرة ١٣٧٧ هـ

١٩ - الخبر الهادى الى أحوال الامام المهدى (مخطوط)

مكتبة جامعة عبد الله بايرو بكنو تحت رقم ٥٤٠

٢٠ - سراج الاخوان فى أهم ما يحتاج اليه فى هذا الزمان

مطبعة المدنى بالقاهرة ١٣٨١ هـ

٢١ - السلاسل الذهبية (مخطوط)

مستودع السجلات الوطنية بكادونا

٢٢ - سوق الأمة الى اتباع السنة (مخطوط)

جامعة ابادن تحت رقم ٨٢/٦٠ و ٦١

٢٣ ـ شفاء العليل فيما أشكل من كلام شيخنا جبريل (مخطوط)

مكتبة جامعة عبد الله بايرو بكنو تحت رقم ١٦٤

٢٤ ـ شمس الاخوان يستضيئون به فى أصول الأديان (مخطوط)

مكتبة جامعة عبد الله بايرو بكنو تحت رقم ٤٩٩

٢٥ ـ عقيدة العوام (مخطوط)

مجموعة وزير سوكوتو الحاج جنيد

٢٦ ـ عمدة البيان فى العلوم التى وجبت على الأعيان (مخطوط)

مكتبة جامعة عبد الله بايرو بكنو

٢٧ ـ علوم المعاملة

طبع زاريا

٢٨ ـ عمدة العباد فيما يبدأ به الله تعالى (مخطوط)

مكتبة جامعة ابادن تحت رقم ٣٥٢/٨٢

٢٩ ـ الفرق بين ولاية أهل الاسلام وبين ولاية أهل الكفر

تحقيق هسكت ، مجلة معهد الدراسات الشرقية بجامعة

لندن رقم ١٩ ، ١٩٥٧م

٣٠ ـ كشف ما عليه العمل (مخطوط)

مركز تقييد الوثائق العربية بجامعة ابادن ، رقم سى أى

دى ١٣

٣١ - مرآة الطلاب (مخطوط)

مكتبة جامعة ابادن تحت رقم ك ٨٢/٧٥

٣٢ - مسائل مهمة (مخطوط)

مستودع السجلات الوطنية بكادونا

٣٣ - معراج العوام الى سماع علم الكلام

مكتبة جامعة عبد الله بايرو بكنــو

٣٤ - نصائح الأمة المحمدية

تحقيق هسكت ، مجلة معهد الدراسات الشرقية بلندن

٣٥ - نصيحة أهل الزمان (مخطوط)

مكتبة جامعة ابادن تحت رقم ٨٢/٣٩٢

٣٦ - نور الالباب

طبع كادونا بدون تاريخ

٣٧ - هداية الطالبين (مخطوط)

مكتبة جامعة عبد الله بايرو بكنــو

مراجــع أخــرى

(أ)

١ - الابانة عن أصول الديانة

للامام أبي الحسن علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري المتوفى سنة بضع وعشرين وثلاثمائة للهجرة ، من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ١٩٧٥م

٢ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية

لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي الطبعة الأولى ، ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٣ - احياء علوم الديـن

للامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى ٥٠٥ هـ ، دار المعرفة بيروت لبنان .

٤ - الاذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة

للسيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري

مطبعة الشركة التونسية للصناعة والتنمية ١٩٧٧م .

٥ - الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد
لامام الحرمين ابى المعالى عبد الملك الجوينى المتوفى ٤٧٨ هـ
تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم ، طبع
مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٥٠م.

٦ - أساس التقديس فى علم الكلام
للامام فخر الدين أبى عبد الله محمد بن عمر بن حسين الرازى
المتوفى ٦٠٦ هـ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٣٥٤ هـ

٧ - الاسلام الفاتح
الدكتور حسين مؤنس ، سلسلة دعوة الحق ، العدد الرابع ،
دار الاصفهانى للطباعة بجدة .

٨ - الاسلام فى نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلانى
لآدم عبد الله الالورى ، الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ

٩ - الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا .
للدكتور عبد الرحمن زكى ، معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة

١٠ - الاشاعة لأشراط الساعة
للسيد الشريف محمد بن رسول الحسينى البرزنجى المدنى ،
دار الكتب العلمية ببيروت لبنان .

١١ - أصول الديـــن

لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى ٤٢٩ هـ

الطبعة الأولى ، مطبعة الدولة باسطانبول ١٣٤٦ هـ

١٢ - الاعتصـــام

للامام ابي اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي

مطابع شركة الاعلانات الشرقية .

١٣ - الاعتقاد على مذهب السلف وأهل السنة والجماعة

للحافظ أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي المتوفى ٤٥٨ هـ

تصحيح ونشر الشيخ أحمد محمد مرسي ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م

١٤ - الاعـــلام

لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٩ هـ

١٥ - اعلام الموقعين عن رب العالمين

لابن قيم الجوزية ، الطبعة الجديدة ١٣٨٨ هـ

١٦ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم

تحقيق محمد حامد الفقي ، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ ، مطبعة

السنة المحمدية بمصر .

١٧ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ،
للقاضي أبي بكر بن طيب الباقلاني ، تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٨٢ هـ

١٨ - انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور
للأمير محمد بن عثمان بن فودى (مخطوط)

١٩ - الايمــان
لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، تصحيح وتعليق محمد خليل هراس ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

(ب)

٢٠ - البداية والنهايــة
للحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ ، الطبعة الثالثة ١٩٧٨م ، مكتبة المعارف ببروت .

٢١ - بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري
للحافظ أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المتوفى ٦٩٩ هـ ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ببروت .

(ت)

٢٢ - تاريخ الفرق الاسلامية

لعلى مصطفى الغرابى ، مطبعة محمد على صبيح بمصر ١٩٥٩م

٢٣ - تاريخ المذاهب الاسلامية

محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى القاهرة .

٢٤ - تاريخ انتشار الاسلام فى غرب افريقيا

للدكتور عبد الرحمن زكى

٢٥ - تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد

للشيخ عبد السلام بن ابراهيم اللقانى المالكى ، الطبعة الثانية

١٣٧٥ هـ ، مطبعة السعادة بمصر .

٢٦ - التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة .

للامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى

بكر بن فرح الأنصارى ، القرطبى المتوفى ٦٧١ هـ ، المكتبة

السلفية بالمدينة المنورة .

٢٧ - تزيين الورقات

للأمير عبد بن محمد الفودى (مخطوط)

٢٨ - التصريح بما تواتر فى نزول المسيح

للامام الشيخ محمد أنور شاه الكشميرى الهندى المتوفى ١٣٥٢ هـ

تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غده ، مكتب مطبوعات الاسلامية بحلب

٢٩ - تفسير القرآن العظيم
للحافظ عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى
الدمشقى المتوفى ٧٧٤ هـ ، طبع دار احياء الكتب العربية .

٣٠ - التفسير الكبير
للامام الفخر الرازى ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ،
طهران .

٣١ - تلبيس ابليس
للامام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى القرشى البغدادى
المتوفى ٥٩٦ هـ تقديم وتخريج محمود مهدى الاستامبولى
١٣٩٦ هـ

٣٢ - توجيه الدعوة والدعاة
لآدم عبد الله الالورى ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ مطبعة
الامانة بالقاهرة .

٣٣ - التوسل والزيارة فى الشريعة الاسلامية .
للشيخ محمد حامد الفقى ، الطبعة الأولى ١٩٦٨م .

(ث)

٣٤ - الثقافة العربية فى نيجيريـا
للدكتور على أبو بكر ، دار الفكر العربى

(ج)

٣٥ - جامع الترمذى مع شرحه تحفة الأحوذى
الناشر دار الكتاب العربى بيروت لبنان .

٣٦ - جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين
للسيد نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسى البغدادى
مطبعة المدنى بمصر ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م

(ح)

٣٧ - حادى الأرواح الى بلاد الأفراح
للحافظ ابن قيم الجوزية ، تصحيح وتعليق الشيخ محمود حسن
ربيع ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٢ هـ ، الناشر مكتبة النهضـة
الحديثة بمكة .

٣٨ - حاشية الدسوقى على شرح البراهين
للشيخ محمد الدسوقى ، مطبعة العامرة العثمانية ١٣١٥ هـ

٣٩ ـ حاضر العالم الاسلامى

لوثروب ستودارد ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر

(خ)

٤٠ ـ خطط المقريــزى

لتقى الدين أحمد بن على المقريزى ، طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ ،
تصدره دار التحرير للطبع والنشر .

(د)

٤١ ـ الدعوة الى الاسلام

للسير توماس ارنولد ، ترجمة دكتور حسن ابراهيم حسن وآخرين
مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠م ، الطبعة الثالثة .

(ر)

٤٢ ـ الرد على الباطنيــة

للامام أبى حامد الغزالـــى

٤٣ ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى

لشهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى المتوفى ١٢٧٠ هـ
ادارة الطباعة المنيرية .

(س)

٤٤ ـ السعادة الأبدية فى الشريعة الاسلامية
للسيد أحمد الهاشمى ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٣ هـ دار الكتب العلمية ببروت .

٤٥ ـ سنن أبى داود
للحافظ ابى داود سليمان بن الأشعث السجستانى المتوفى ٢٧٥ هـ ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ

٤٦ ـ السياسة الشرعية لاصلاح الراعى والرعية .
لابن تيمية ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩م ، دار الكتاب العربى بمصر .

(ش)

٤٧ ـ شرح الأصول الخمسة
للقاضى عبد الجبار بن أحمد ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ

٤٨ ـ شرح صحيح مسلم
للامام النووى ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ ، الناشر دار احياء التراث العربى ببروت .

٤٩ - شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية
للعلامة على بن على بن محمد بن أبى العز المتوفى ٧٩٢ هـ،
تحقيق العلامة أحمد شاكر ، مطبعة العاصمة .

٥٠ - شرح العقائد النسفية
لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى المتوفى ٧٩١ هـ ،
طابع وناشر قريمسى يوسف ضيا ، شركة صحافية عثمانية ١٣٢٦هـ

٥١ - شرح العقيدة الواسطية
للدكتور محمد خليل هراس ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة
المنورة ، الطبعة الثالثة .

٥٢ - شرح المقاصد
لسعد الدين التفتازانى ، طبع بمطبعة الحاج محرم افندى
باسطانبول ١٣٠٥ هـ .

٥٣ - الشامل فى أصول الدين
لامام الحرمين الجوينى المتوفى ٤٧٨ هـ ، تحقيق وتقديم د . على
سامى النشار وآخرون . الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
١٩٦٩م .

٥٤ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عقيدته السلفية ، ودعوته الاصلاحية وثناء العلماء عليه للعلامة الشيخ أحمد بن حجر بن محمد آل ابو طامي ، من مطبوعات الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض .

(ص)

٥٥ - صحيح مسلم بشرح النووي ، دار احياء التراث العربي بيروت ، لبنان .

(ض)

٥٦ - ضياء التأويل في معاني التنزيل
لأبي محمد عبد الله بن فودي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٦١م

(ع)

٥٧ - العلو للعلي الغفار
للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ تقديم وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ مطبعة العاصمة بالقاهرة .

٥٨ - عمدة القارى" شرح صحيح البخارى

للامام بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينى المتوفى

٨٥٥ هـ - ادارة الطباعة المنيرية .

(ف)

٥٩ - الفتح المبين فى طبقات الاصوليين ،

للشيخ عبد الله مصطفى المراغى ، الطبعة الثانية ، الناشـــر

محمد أمين دمج وشركاه بيروت .

٦٠ - الفرق بين الفـــرق

لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى المتوفى ٤٢٩ ،

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة المدنى .

(ق)

٦١ - قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة .

لشيخ الاسلام ابن تيمية ، الناشر المكتب الاسلامى ، بيروت

١٣٩٠ هـ .

٦٢ - قواعد الاحكام فى مصالح الأنام

لأبى محمد عز الدين بن عبد السلام السلمى المتوفى ٦٦٠ هـ

الطبعة الجديدة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م ، دار الشرق للطباعة

بالقاهرة .

٦٣ - القاموس المحيط

لمجد الدين الفيروز آبادى ، طبع مطبعة السعادة بمصر .

(ك)

٦٤ - كبرى اليقينيات الكونيـــة

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ، الطبعة الخامسة ، دار الفكر ١٣٩٧ هـ

٦٥ - كتاب الـــروح

لابن قيم الجوزية ، الطبعة الرابعة ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ، الدكن بالهند ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣م

٦٦ - كتاب الفقه الأكبر

للامام أبى حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى ١٥٠ هـ

الطبعة الثانية ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٧٣ هـ .

٦٧ - كتاب تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان

للشيخ محمد بن أحمد الشهير بألفا هاشم الفوتى المتوفى ١٣٤٩ هـ

المطبعة الماجدية بمكة ١٣٥٤ هـ .

٦٨ - كتاب المسامرة فى شرح المسايرة فى علم الكلام
لكمال بن ابى شريف ، الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٤٧ هـ

٦٩ - كتاب منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية
لأحمد بن تيميه ، الطبعة الأولى ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، مصر ١٣٢١ هـ

٧٠ - الكواشف الجلية عن معانى الواسطيه
للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان ، الطبعة الرابعة .

٧١ - كتاب الفصل فى الملل والاهواء والنحل
لأبى محمد على بن حزم الأندلسى الظاهرى المتوفى ٤٥٦ هـ
الناشر مكتبة المثنى ببغداد .

(م)

٧٢ - متن البخارى بحاشية السندى
لابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، دار الفكر بيروت .

٧٣ - مجموع فتاوى ابن تيمية
جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد النجدى ، الطبعة الأولى ، مطابع الرياض ١٣٨١ هـ .

٧٤ - مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية
للشيخ محمد بن على بن سلوم ، تحقيق محمد زهرى النجار ،
الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ .

٧٥ - مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين لابن قيم
الجوزية ، طبع مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ

٧٦ - مسند الامام أحمد
المكتب الاسلامى للطباعة والنشر ، بيروت .

٧٧ - مع حركة الاسلام فى افريقيا
للدكتور عبده بدوى ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشـر ،
١٩٧٠م

٧٨ - معجم المؤلفـين
لعمر رضا كحالة ، الناشر مكتبة المثنى بيروت ودار احياء التراث
العربى .

٧٩ - مقدمة ابن خلدون
للعلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربى ، طبع دار الشعب ،
بالقاهرة .

٨٠ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين
للامام أبى الحسن الأشعرى ، تحقيق محمد محى الدين
عبد الحميد ، نشر مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٩ هـ

٨١ - الملل والنحل
لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى المتوفى ٥٤٨ هـ
تحقيق محمد سيد كيلانى ، طبع مطبعة مصطفى البابى الحلبى
بالقاهرة ١٣٨٧ هـ

٨٢ - منهج ودراسات الآيات الأسماء والصفات
للشيخ محمد الأمين الشنقيطى ، من مطبوعات الجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة .

(ن)

٨٣ - النظريات السياسية الاسلامية
للدكتور محمد ضياء الدين الريس ، الطبعة السادسة ١٩٧٦م

٨٤ - نظام الحكم فى الاسلام
للدكتور محمد يوسف موسى ، الطبعة الثانية ١٩٦٤م ، دار
الحمامى للطباعة بمصر .

(و)

٨٥ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى
لنور الدين علي بن أحمد السمهودي المتوفى ٩١١ هـ
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار احياء التراث
العربي ببروت .

٨٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .
لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن
خلكان . المتوفى ٦٨١ هـ تحقيق الدكتور احسان عباس ،
دار الثقافة ببروت .

(ي)

٨٧ - اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر
لعبد الوهاب الشعراني ، الطبعة الأخيرة ١٩٥٩م .
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

-----

*

المصادر الاجنبية

1- BALOGUN, L.A.B 'The Life and Works of Uthman Dan Fodio' Islamic Publication Bureau, Lagos,1975

2-BIVAR,A.D.H & HISKETT, M 'The Arabic Literature of Nigeria to 1804' BSOAS,XXV,1962

3- CROWDER, M 'The Story of Nigeria' Faber & Faber, London,1972

4- EL-MASRI, F.H 'Bayan Wujubil Hijra' Oxford University Press

5- HISKETT, M 'Material Relating to the State of Learning among the Fulani before their Jihad'BSOAS,XIX,1957
- Kitab al-farq' a work on the Habe Kingdoms attributed to Uthman Dan Fodio, BSOAS,XXIII,1960
- An Islamic Tradition of Reform in the Western Sudan from the 16th to the 18th Century' BSOAS,XXV,1962

6- HODGKIN, T 'Nigerian Perspectives' Oxford, 1960

7- HOGBEN, S.J 'An Introduction to the History of the Islamic States of Northern Nigeria, Oxford,1967
- Muhammedan Emirates of Northern Nigeria'

8- LADY LUGARD 'A Tropical Dependency' Frank Cass & Co, 1964

9- LAST, D.M 'The Sokoto Caliphate' Longmans, 1967

10- TRIMINGHAM, J.S 'Islam in West Africa' Clarendon Press, 1959

الدوريات

An Encyclopaedia of Islam, Leiden

Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London.

دائرة المعارف الاسلامية

مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالريا

فهـــــرس الموضوعات